جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في الإلهيات



بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه
بقسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

بإشراف الأستاذ الدكتور
بركات عبد الفتاح دويدار



الطالبة
إبتسام أحمد محمد جمال

١٤١١هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الامين محمد بن عبدالله وآله وصحبه اجمعين .

اما بعد :

بعون الله وفضله العظيم اتممت كتابة بحثي العلمي الذي نلت به درجة الدكتوراه بتقدير امتياز . وكان عنوانه (موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الامام الرازي في الإلهيات) وقد ضمنت البحث مقدمة واربعة ابواب احتوى كل باب على فصلين او ثلاثة حسب مايقتضيه موضوع الباب فكانت المقدمة في بيان اهمية البحث واسباب اختياره وبيان راى السلف في نقد علم الكلام ، واشتمل الباب الاول على فصلين عن حياة العالمين الامام الرازي وشيخ الإسلام ابن تيمية .

اما الباب الثاني فقد اشتمل على ثلاثة فصول ، فكان الفصل الاول في النظر وحكمه عند الامام الرازي ، ثم عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، فموقفه من الامام الرازي ، وكان الفصل الثاني في الدلائل على وجود الله تعالى عند الامام الرازي ثم عند شيخ الاسلام فموقفه من الامام الرازي ، وكان الفصل الثالث التوحيد بينت فيها منهج الامام الرازي في اثبات التوحيد، ثم منهج شيخ الاسلام ابن تيمية ، فموقفه من الامام الرازي ، وبيان ما ادى اليه توحيده من نفي لبعض الصفات .

اما الباب الثالث في الاسماء والصفات واشتمل علي ثلاثة فصول الفصل الاول في الاسماء عند الامام الرازي اولا ثم عند شيخ الاسلام ابن تيمية فموقفه من الامام الرازي ومن وافقه . الفصل الثاني في التنزيهات عند الامام الرازي ثم عند شيخ الاسلام ابن تيمية فموقفه من الامام الرازي في التنزيهات .الفصل الثالث وكان في الصفات الثبوتية عند الامام الرازي ثم عند شيخ الاسلام فموقفه من الامام الرازي .

اما الباب الرابع : فكان في التاويل والمؤول واشتمل على فصلين . الفصل لاول في التأويل واحكامه عند الامام الرازي ثم عند شيخ الاسلام ابن تيمية فموقفه من الامام الرازي وبيان بطلان قانونه في التأويل . الفصل الثاني وكان في .. الصفات الخبرية بينت فيه منهج الامام الرازي في نفي الصفات الخبرية بحجة ان اثباتها يشعر بالتجسيم ، ثم ذكرت منهج شيخ الاسلام في اثباتها ثم موقفه من الامام الرازي وابطال حجته في النفي .

اما الخاتمة فجاءت مشتملة على اهم النتائج التي توصلت اليها بعد كتابة البحث والتي من اهمها بيان جهود شيخ الاسلام ابن تيمية في الدفاع عن عقيدة اهل السنة والجماعة وتنقيتها من ضلالات الفلسفة وانحرافاتها والدعوة الى التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الامين صلى الله عليه وسلم والاعتصام بهما لانهما مصدر كل علم صحيح .

اما الامام الرازي فكان لاهتمامه بعلم الكلام ودراسة الفلسفة والمنطق اثر كبير في منهجه حيث جعل التاويل قانونا له فقدم الدليل العقلي على نصوص الكتاب والسنة . كما ادى ذلك به الى نفي بعض صفات الله تعالى كالعلو والجهه والصفات الخبرية كلها .

والله اسأل ان يهديني ويوفقني في بيان العقيدة الصحيحة عقيدة اهل السنة والجماعة وان يجنبني الزلل فيها وان يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم فضلا منه وكرما . والله ذو الفضل العظيم

ابتسام بنت احمد بن محمد جمال

١٧/٥/١٤١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين « نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ (1)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً ﴾ (2)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَولاً سَدِيداً يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيما ﴾ (3)(4) .... » .

---

(1) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

(2) سورة النساء : آية ١ .

(3) سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

(4) هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها النبي ﷺ لأصحابه ، أخرجها ابو داود : ١٠ / ٣٣١ ، والنسائي : ٢٨/١ ، والبيهقي : ١٤٦/٧ ، كلهم عن طريق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين محمد الهادي الأمين وعلي آله الطيبين الطاهري وصحابته الكرام المهتدين والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين الذين آمنوا بما دل عليه الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل وأجتمعوا على الحق المبين أهل السنة والجماعة الذين إذا تنازعوا في أمر ردوه إلى الكتاب والسنة إمتثالاً لأمر الله تعالى :

﴿ فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾ (١)

معتصمين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

ولكن الأمة الإسلامية بعد قرون السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ابتليت بكثير من المنتسبين اليها عشاق الفلسفة - اليونانية ، والهندية - الذين حاولوا التأليف بينها وبين قواعد الإسلام وأصوله فضلوا وأضلوا .

ومن المؤسف حقاً أن تنتشر مؤلفاتهم بين الناس الخاصة منهم والعامة ، ولم تجد معظمها من ينقيها ويصحح ما انحرف فيها بالفلسفة ومبادئها ، وما زالت حتى الآن تجد من يعتنقها من المسلمين ويدعوا لها .

والمتفلسفة من المسلمين كما يسمون أنفسهم فخراً جعلوا أصول الإسلام ومبادئه من الكتاب والسنة دلائل ظنيه لا يصححها إلا وجود دلائلهم الفلسفية اليقينية في نظرهم ، فبهذا قدموا دلائل الفلسفة وبراهينها على دلائل القرآن العظيم والسنة المطهرة وبراهينهما فارادوا التوفيق بين الدين والفلسفة فوقعوا في ضلالاتها فبدلوا بعض تعاليم

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

الدين لتتناسب مع مبادىء فلسفتهم المنحرفة الوثنية التي لا تتفق وكمال الدين ، وخاصة في الآلهيات وأصل الكون والفلك والطبيعة ونحوه .

فإنتشار كتب هؤلاء المتأثرين بالفلسفة والمليئة بإنحرافاتها وضلالاتها لابد ان يكون موضع اهتمام وعناية من قبل العلماء وطلاب العلم المتخصصين في مجال العقيدة ليظهروا الحق ويبطلوا الباطل ، خاصة في وقتنا الحاضر الذي انتشرت فيه علوم الفلسفة والمنطق القديم والحديث . ذلك ان كتب الكثيرين من فلاسفة الإسلام وزعماء المعتزلة والاشاعرة ومن سار على منهجهم ، يتداولها طلبة العلم دون ان يعرفوا صحيحها من باطلها وهناك من تأثر من المسلمين بالفلسفة وان لم يتسمى بها كالمعتزلة والاشاعرة . ويبدو ذلك واضحاً في مؤلفاتهم وارائهم التي نادوا بها ودونوها في كتبهم .

وهذا مما حثني على أن استطلع علمهم لأقف على الصحيح منه والمنحرف وما حوته كتبهم من مبادىء فلسفية ضالة مخالفة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الأمين محمد ﷺ وإجماع السلف الصالح رضوان الله عليهم فلهذا وغيره وقع إختياري مع المشرف على هذا الموضوع وهو « موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام الرازي في الإلهيات » ويكون شرف البحث وأهميته من شرف موضوعه وموضوع العقيدة الإسلامية هو أشرف الموضوعات والآلهيات منها أجل وأعظم خاصة اذا كان يهدف إلى عرض العقيدة الصحيحة عرضاً شاملاً متكاملاً لكل ما جاء في الكتاب والسنة والدفاع عنها ورد شبهات أهل الزيغ والضلال وابطالها .

ولقد كان الإمام الرازي من علماء الأشاعرة وأئمتهم الذين حاولوا الدفاع عن السنة ورد شبهات الفلاسفة والمعتزلة والمشبهة ، ولكن لدراسته للفلسفة والمنطق وتعمقه فيهما والذي يبدو واضحاً في جميع مؤلفاته وقع في ضلالاتها فأعتنق بعض آرائهم ومبادئهم فبعُد بهذا عن طريق أهل السنة والجماعة إلا أن الله تعالى منّ عليه بالتوبة في أخر عمره ورجع عن آرائها الكلامية والفلسفية المنحرفة إلى طريق الحق والهدى طريق السلف الصالح وهذا ماذكره في وصيته لطلابه : « لقد أختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية . فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات »

ولكن لغزارة علمه وكثرة مؤلفاته انتشرت بين الناس قروناً طويلة بعده فوجدت من يؤيدها ويأخذ مافيها من الحق والباطل ، كما أن هناك من عارضها فأنكر صحيحها وباطلها .

ولكن حين جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله واطلع على كتب الرازى وأمثالها ، وأدرك مافيها من ضلال الفلسفة وانحرافها وخطورة ذلك على المسلمين ، أنكب على دراستها دراسة وافية ليبين للناس ماأنحرف عن الحق ، ويرد عليه ، ويظهر الصواب الذى جاء فيها .

ونظراً لما لفخر الدين الرازى من مكانة علمية كبيرة وزعامة للمذهب الاشعرى الذي يبنى أصوله الدينية على القواعد العقلية الفلسفية البعيدة عن المنهج الصحيح ، ولما أولاه شيخ الإسلام من عناية خاصة بتفنيد ماشذ عن فكر الرازى حتى أنه أفرد أحد كتبه وهو :

« **بيان تلبيس الجهمية** » على الرد على ضلالات الرازى التى دونها كتابه « **أساس التقديس** » لهذا فقد اخترت أن ابرز هذا الجانب من علم الرازى ومنهجه .فعملت على دراسة منهج الأمام الرازي الاشعري المذهب ومعرفة مذهبه الصحيح منه والمنحرف والقواعد التي بنى عليها مبادئه وارائه مقارنة بآراء شيخ الإسلام الناهج لمذهب السلف ، وبيان موقفه من الامام الرازي في ضوء الكتاب والنسة وإجماع السلف الصالح .

هذا وقد وفق الله لي مشرفاً عالماً فاضلاً ؛ وأستاذاً كريماً أفادني علماً ومعرفة في موضوع البحث وجوانبه العقلية والنقلية ، فأطلعت على كتب فلاسفة الإسلام لمعرفة ما كان عليه المسلمون بسبب اعتناق الفلسفة وتأثيرها على مبادىء الإسلام وأصوله .

ثم بعد ذلك شرعت في دراسة المذهب الاشعري بقراءة كتب أئمته وزعمائه ، وأخيراً عكفت على دراسة كتب الإمام الرازي ، كل ذلك كان تحت أشراف الدكتور الفاضل **بركات الدويدار** جزاه الله عني كل خير ، وبعد أن استكملت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الرازي المخطوط منها والمحقق شرعت بعون الله تعالى وفضله في كتابة موضوعي ، فحرصت على عرض مذهب الإمام الرازي في صوره مكتملة موجزة بذكر بعض الأدلة والبراهين الموضحة لمذهبه المبينة لرآية وذكر بعض الشبهات والرد عليها .

أما مذهب شيخ الإسلام فقد ذكرته مختصراً موجزاً لموافقته لمذهب السلف الصالح ، وذلك أنني خشيت التكرار والتطويل في أمور يعرفها الجميع .

وبعد هذا العرض الموجز عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له ،

أشير إلى محتويات الرسالة ، والتي تشتمل على مقدمة وأربعة أبواب ، يتضمن كل باب على فصلين أو ثلاثة وكل فصل على ثلاثة مباحث ، فكانت المقدمة لبيان أهمية البحث وسبب إختياره وبيان أهداف الموضوع والمنهج الذي سلكته في دراسة الموضوع وكتابته

الباب الأول : ويشتمل على فصلين ضمنتهما حياة العالمان الإمام فخر الدين الرازي وشيخ الإسلام ابن تيمية .

فكان الفصل الأول : عن حياة الإمام فخر الدين الرازي ، ولادته ونشأته ، ودراسته وحياته العلمية ، ومنهجه في العلم ومذهبه ، ومدى تأثيره بالفلسفة والمنطق وعودته إلى الحق والهدى ، ووفاته .

والفصل الثاني : عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، نبذة موجزة عنه ، لما فيها من مؤلفات ورسائل وبات معروفاً لدى الجميع .

الباب الثاني : ويشتمل على ثلاثة فصول كل فصل يحتوى على ثلاثة مباحث .

فكان الفصل الأول : عن النظر والاستدلال ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النظر والاستدلال عند الإمام الرازي .

المبحث الثاني : النظر والاستدلال عند شيخ الإسلام .

المبحث الثالث : موقف شيخ الإسلام من الامام الرازي .

والفصل الثاني : عن الاستدلال على وجود الله ويحتوي على ثلاثة مباحث ، وهي :

١ - مذهب الإمام الرازي في الاستدلال على وجود الله .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في الاستدلال على وجود الله .

٣ . موقف شيخ الإسلام من الامام الرازي .

الفصل الثالث : عن التوحيد ويحتوي ثلاثة مباحث هي :

١ - مذهب الإمام الرازي في توحيد الله .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في توحيد الله .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي .

الباب الثالث : وهو يتضمن اسماء الله تعالى وصفاته ويشتمل على ثلاثة فصول .

الفصل الأول : عن أسماء الله تعالى ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ - مذهب الإمام الرازي في اسماء الله تعالى .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في اسماء الله تعالى .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الرازي .

الفصل الثاني : في التنزيهات ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ - مذهب الإمام الرازي في التنزيهات .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في التنزيهات .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي .

الفصل الثالث : في الصفات الثبوتية ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ - مذهب الإمام الرازي في الصفات الثبوتية .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في الصفات الثبوتية .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي .

الباب الرابع : في التأويل والمؤول ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول : في التأويل وأحكامه ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ - مذهب الإمام الرازي .

٢ - مذهب شيخ الإسلام .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الرازي .

الفصل الثاني : في الصفات الخبرية ويشتمل على ثلاث مباحث

١ - مذهب الإمام الرازي في نفي الصفات الخبرية .

٢ - مذهب شيخ الإسلام في إثبات الصفات الخبرية .

٣ - موقف شيخ الإسلام من الرازي في تأويل الصفات الخبرية .

ثمت الخاتمة ، وقد ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها من دراسة حياة الإمام الرازى ، وشيخ الإسلام « ابن تيمية » ومنهجهما العلمى في العقيدة الآلهية .

والله أسأل أن يكتب لي التوفيق والسداد ، وأن ينفعنى بما تعلمت ، وينفع بعلمى أنه نعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السلف وعلم الكلام

تمهيد :

قيض الله سبحانه وتعالى لهذا الدين الحنيف من يحفظه بكماله إلى قيام الساعة ، فكان هؤلاء الحفظة هم أهل السنة والجماعة المتمسكون بالعقيدة الصحيحة المتلقاة بالقبول والتسليم والإدراك السليم لكل ماجاء به محمد رسول الله ﷺ .

ولكن التفرقة في الدين والاختصام في رب العالمين سنة الأمم قبلنا وواقع حالنا بعدهم ، فكان بسب انشقاق المسلمين إلى فرق ومذاهب ضالة تستمد أصول دينها من علوم الأمم الكافرة الوثنية ، بدء ظهور علم الكلام الذي كان يقصدون به علم التوحيد ، وهو منه براء . إذ أن علم الكلام كما يزعمون « هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير والزامه إياها بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها » المواقف،فيجعلون الفلسفة العقلية أصل وقاعدة يبنون عليها إثباتهم للعقائد الدينية التى أكمل بيانها القرآن والسنة بما لا يدع مجال لأي إضافة أو نقص عقلاً كان أو نقلاً لأنه من الأمور الغيبية التى لا يدركها العقل وحده بل لابد من الخبر الصادق الذي يهدى العقل إلى اثبات فيه أو نفياً ولا يكون هذا الخبر إلا من عالم الغيب والشهادة سبحانه وقد ذم السلف علم الكلام لما فيه من ضلالات الفلسفة وانحرافها والذي أدى بأهله إلى نفى الأسماء والصفات الألهية كلها أو بعضها وتأويل نصوص الكتاب والسنة بما يوافق عقولهم وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ذم السلف لعلم الكلام وبين السبب في

ذمهم حيث قال : « أتفق سلف الأمة وأئمتها على ذم - علم الكلام - والنهى عنه وتجهيل أصحابه وتضليلهم ، حيث سلكوا في الاستدلال طرقاً ليست مستقيمة ، واستدلوا بقضايا متضمنة للكذب ، فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة وصرائح المعقول ، فكانوا جاهلين كاذبين ظالمين في كثير من مسائلهم ورسائلهم وأحكامهم ودلائلهم »[1] .

فقد انحرفوا بهذا العلم عن منهج السلف الصحيح في العقيدة ، فأبتدعوا بدعاً ليس لها أصل من كتاب ولا من سنة فيزعمون أن أصول الدين تعرف بمجرد العقل ، أما مالا يعرف بمجرد العقل فهي الشرعيات ، وكفروا من يخالفهم في هذا الأساس ، وقد أبطل شيخ الإسلام زعمهم هذا بقوله : « هذا الكلام يتضمن شيئين : أحدهما أن أصول الدين تعرف بالعقل المحض دون الشرع ، والثانى ان المخالف لها كافر . »

وكل من المقدمتين ، وان كانت باطلة فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان مالا يعرف إلا بالعقل لا يعلم ان مخالفة كافر الكفر الشرعي ... لأن الكفر الشرعى يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه[2] .

فجهل هؤلاء بالدين الإسلامى وأصوله وكمالها هو الذي دفعهم إلى الأخذ بهذه الأصول الدخيلة الباطلة واوقعهم في ضلالاتها وانحرافها .

---

(١) درء تعارض العقل : ج ٧ ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٤٢ .

فالرسول ﷺ لم يترك شيء من الوحي الالهى له دون تبليغه وبيان مراد الله تعالى من هذا الأمر أو هذا التشريع ، أو هذا الحكم ، بل بلغه بصدق وأمانة ، فلا نحتاج مع هذا التبليغ الأمين الصادق إلى إضافة أي اعلم أو طريقة أو وسيلة توصلنا بزعمهم إلى الإيمان بالله عقيدة وشريعة ، ولكن رغم ادعاءتهم المضللة إلا أن الله تعالى أعان أهل السنة والجماعة بنصره وتأييده على إظهار الحق وإبطال الباطل بالدلائل النقلية والعقلية من الكتاب والسنة ، وبيان عظمة الدين وكماله وصلاح تطبيقه إيماناً وعملاً في كل مكان وزمان .

الباب الأول

نبذة مختصرة
عن حياة العالمين الكبيرين
الإمام فخر الدين الرازى
وشيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الأول :

عن حياة الإمام الكبير فخر الدين الرازى

الفصل الثانى :

عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية

OOOOO

الفصل الأول

حياة الإمام
فخر الدين الرازى
ودراسة منهجه وآرائه الكلامية

تمهيد

المبحث الأول :

(١) مولده ونشأته .

(٢) شيوخه ومعلموه .

(٣) آفاقه العلمية .

المبحث الثانى :

(٤) منهجه وآراؤه العلمية

المبحث الثالث :

(٥) موقفه من الفلسفة .

المبحث الرابع :

(٦) مؤلفاته .

(٧) وصيته .

(٨) وفاته .

ooooo

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

الإمام فخر الدين الرازى

تمهيد :

ولد الإمام فخر الدين الرازى فى مدينة العلم والعلماء مدينة الرى [١] نشاء فيها وترعرع بين أحضان العلماء وعلى صفحات الكتب فى شتى مجالات العلم والمعرفة .

فقد كانت الرى مسرحاً كبيراً لمختلف الآراء والمذاهب الكلامية والفقهية والفلسفية واللغوية « دخلها العرب فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد فتح نهاوند بشهرين ، وذلك سنة ٢٠هـ » [٢] .

وكانت الري من أهم المدن وأعمرها بعد بغداد بخيراتها الكثيرة وثمارها الوفيرة ، وهى من أمهات البلاد وأعلام المدن وقيل بناها راز ابن فرسان [٣] لأن النسبة إليها رازى [٤] .

---

(١) الري : « إقليم قديم من بلاد فارس جنوب طهران وعاصمة بلاد العراق العجمى شرقى سلسلة الجبال الايرانية »

انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠٥ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٣٠٥ .

(٣) انظر روضات الجنات ج ٨ ص ٤٧ .

(٤) وقيل الرازى نسبة إلى (الري) على غير قياس ، وقيل انهم أضافوا الزاى إلى الرى فأصبحت الرازى ، كما اضافوا الزاى إلى (مرو) فقالوا المروزى .

انظر روضات الجنات ج ٨ ص ٤٧ .

ودور المدينة كلها تحت الأرض مظلمة صعبة المسالك لكثرة ما يطرقهم من عساكر الأعداء [١] .

وقدأبيدت مدينة الرى بفعل التتار ، وأصبحت آثاراً باليه الآن بعد أن وصلت أوج مجدها العلمي بظهور العلماء فيها ومنها خلال القرون الأولى وحتى نهاية القرن السادس ، حيث احتضنت العلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وآرائهم ومناهجهم .

وساعد على ازدهار العلم فى القرنين الخامس والسادس اهتمام الملوك والأمراء بالعلماء ، وتشجيعهم علىَ طلب العلم والاستزادة منه ، بإغداق العطايا عليهم وتقريبهم منهم ، لتنمية الثقافة في شتى المجالات العلمية وفى جميع علوم المذاهب الكلامية والفقهية ، فكثر بذلك العلماء وتنوعت العلوم ، حتى لم يبق علم من العلوم ولا فن من الفنون إلا ونبغ فيه رجال بلغت شهرتهم الآفاق ، ومن الطريف ما حكاه الإمام ابن فارس أبو الحسين الرازيّ [٢] الفقيه الشافعى الذى تحول إلى المالكية .

---

(١) انظر : روضات الجنات : ج ٨ ، ص ٤٧ .

(٢) هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوى الفقيه . توفى سنة (٣٩٥ هـ) .

فقال : « دخلتنى الحمية لهذا الإمام المقبول على جميع الألسنة – يقصد الإمام مالك رضى الله عنه – أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه فعمرت مشهد الانتساب إليه ، حتى يكتمل لهذا البلد فخره »[1] .

كما أن المذاهب باختلافها شاعت وانتشرت فى ذلك العهد فنرى الغزالي[2] ، وأبا هاشم بن عساكر[3] ثم والد الإمام ضياء الدين عمر[4] خطيب الرى فى الجيل الأسبق للإمام فخر الدين الرازى .

---

(١) انظر : الوفيات : ج١ ص ١١٨ ، ونزهة الأولياء : ص ٣٩٢ ، ودائرة المعارف : ج٤ ص ١٤١ .

(٢) الإمام الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الإمام زين الدين وحجة الإسلام ، أبو حامد الطوسي الغزالي ، الفقيه الشافعى ، جد واجتهد حتى تخرج فى مدة قريبة ، وأكمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه . ولد بطوس من مدن خراسان فى سنة (٤٥٠هـ) .
لازم إمام الحرمين وتلقى منه جميع الفنون الدينية . اشتغل بالتدريس والتأليف فى المدرسة النظامية ، وحين توفى إمام الحرمين تصدر الغزالى للأفتاء والشرح والتبيان .
توفى يوم الاثنين الرابع عشرة من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائه بوطنه طوس (٥٠٥هـ) .
انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ١٠ .

(٣) ابن عساكر : هو الإمام الجليل حافظ الأمة . علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين المعروف بابي هاشم بن عساكر ، إمام أهل الحديث في زمانه ، جمع بين معرفة المتون والاسانيد ، صحيح القراءة متثبتاً محتاطاً ، من تصانيفه : التاريخ الكبير ، الموافقات ، فضل اصحاب الحديث ، ولد سنة تسع وتسعين واربعمائه للهجرة . وتوفى عام احدى وسبعين وخمسمائه هجريه (٥٧١هـ) .
انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٤) ضياء الدين : هو عمر بن الحسين البكرى التميمي الطبرستاني الرازي والد الإمام العلامة فخر الدين الرازي وكان خطيبا فصيح اللسان قوى الجنان فقيهاً شافعياً أصولياً متكلماً صوفياً متحدثاً أديباً له نثر في غاية الحسن تكاد تحكي ألفاظه مقامات الحريري من حسنه وحلاوته ورشاقة سمعه .
وللإمام ضياء الدين والد الرازي مؤلفات فى علم الكلام من أهمها : « غاية المرام فى علم الكلام » وذكر ابن السبكي انه من أنفس كتب أهل السنه وأشدها تحقيقاً . وله مؤلفات في الفقه .
انظر : عيون الانباء : ج ٢ ، ص ٢٥ ، طبقات السبكي : ج ٤ ، ص ٢٨٥ مخطوطة الحسنين .

أما علماء زمان فخر الدين فمنهم القاضى أبو الوليد المعروف بـ « ابن رشـد » [1]. والعلامة أبو الحسن علي المعروف بـ « سيف الدين الأمدى » [2] . وابن الأثير [3]. وعز الدين عبد السلام [4]

---

(١) ابن رشد الحفيد : وهو العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد ابن العلامة المفتى أبو الوليد بن أحمد بن رشد القرطبى المالكى .
ولد ابن رشد الحفيد عام ٥٢٠ هـ بقرطبة ونشأ فيها وتفقه ، وبرع ، وسمع الحديث ، وأتقن الطب ، وأقبل على علم الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل من مؤلفاته : « تهافت التهافت » و « منهاج الأدلة » . وتوفى ابن رشد فى صفر بمراكش عام ٥٩٥هـ .
انظر شذرات الذهب : ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٢) سيف الدين الأمدي : هو العلامة أبو الحسن علي بن علي بن محمد الحنبلي . ثم الشافعي المتكلم العلامة صاحب التصانيف العقلية المعروف بسيف الدين الأمدى .
ولد بعد الخمسين والخمسمائة « بآمد » .
قرأ القراءات والفقه الحنبلي ثم الشافعي وبرع في الخلاف ، وتفنن في علم النظر والكلام والحكمة من تصانيفه المشهوره . الأحكام فى أصول الأحكام وأبكار الأفكار فى أصول الدين .
توفى سنة إحدى وثلاثين وستمائه هجرية .
انظر : شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ١٤٤.

(٣) ابن الأثير : العلامة مجد الدين أبو السعادات بن الأثير المبارك ابن محمد الشيباني الجزري ثم الموصلي الشافعي الكاتب مصنف « جامع الأصول » و « النهاية فى غريب الحديث » .
قال ابن خلكان في الوفيات كان فقيها محدثا أديباً نحوياً عالماً بصنعة الحساب والانشاء ورعاً عالماً مهيباً ذا يداً وإحسان .
توفى سنة ست وستمائه هجرية .
انظر شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٢٢ .

(٤) عز الدين عبدالسلام : شيخ الإسلام أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام ابن أبى القاسم بن الحسن الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء المسلم الدمشقي ثم المصري الشافعي .
قرأ الأصول على الأمدي وبرع في الفقه والأصول العربيـة رفاق أقرانه في التفسير والحديث والفقه وبلغ رتبة الاجتهاد .
توفى سنة (٦٠٦ هـ) .
انظر : شذرات الذهب : ج٥ ، ص ٣٠١ .

وغيرهم من العلماء المعاصرين لفخر الدين ، وقد اشتهر كل منهم بحبه للعلم والسعي لطلبه في أشهر المدن علماً ومن أوثق العلماء حكمة .

وكان لتنقلات الرازى بين المدن المجاورة له الأثر الأكبر فى غزارة علمه وسعة إطلاعه ، وذلك بما كان من مناظراته مع علماء العصر فى تلك المناطق التى زارها .

ففى خوارزم أول رحلاته جرت مناظرة بينه وبين المعتزلة أدت إلى خروجه منها .

وفى بلاد ماوراء النهر عقد مع علمائها مناظرات فى الفلسفة والكلام ، وأصول الفقه ، والفقه ، وذهب أيضا إلى غزنة حيث ناظر الكرامية هناك ، ثم رحل إلى خرسان وسمرقند ، واستقر فى هراه فترة وجيزة مالبث أن خرج منها بسبب مالاقاة من الحنابلة [١] .

---

(١) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٥٠ .

المبحث الأول :

مولد
الإمام فخر الدين الرازي
ونشأته وشيوخه ومعلميه
وآفاقه العلمية

المبحث الأول

حياة الإمام فخر الدين الرازي

مولده ونشأته :

في مدينة الري كان مولد الإمام العلامة نادرة زمانه وأعجوبة عصره إمام المتكلمين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمي[١]. البكري الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي وقيل انه أبو الفضل محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي ، ويكنى بأبي عبد الله وأبي المعالي . وأبي الفضل وابن الخطيب ، ويراعى ابن خلدون الدقة حين يطلق عليه الإمام ابن الخطيب ، تمييزاً له عن كثيرين اشتهروا بهذه الكنى .

وذكر إسماعيل بن حسين المروزي فى كتابه : « الفخرى » الذى أوصل فيه نسب الإمام فخر الدين الرازي إلى قريش أبيات ابن عنين[٢] فى مدح الإمام الرازي تنص على عروبته ، قال فيها :

---

(١) التيمي : نسبة إلى بني تيم بطن من بطون قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
انظر طبقات المفسرين : ج ١ ، ص ٣٩ ، روضات الجنات : ص ٦٩٩ ، الأعلام : ج ٧ ، ص ٢٠٣ .

(٢) ابن عنين : هو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين لقي الرازي بالري وحضر دروسه ومدحه وأطال الثناء عليه ، توفى بدمشق سنة ٦٣٠هـ وقد اشتهر ابن عنين بتعصبه الشديد للعرب وغمزه لمن لم يكن عربي .
انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ١١٠ .

ريح الشمال عساك أن تتحملي

خدمي إلى المولى الإمام الأفضل

وقفي بواديه المقدس وانظري

نور الهدى متألقا لا يأتلي

من دوحة فخرية عمرية

طابت مغارس مجدها المتأثل

مكية الأنساب ذاك أصلها

وفروعها فوق السماك الأعزل[١]

ففي أسرة اشتهرت بالعلم والفضل ولد الإمام فخر الدين في الخامس والعشرين من رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية على الأرجح .وقيل ولد عام اثنين وأربعين وخمسمائة هجرية .

وكان والده الشيخ ضياء الدين عمر خطيب الري إماماً جليلاً مقدماً في العلم والمعرفة وخاصة في علم الكلام . رزق بولدين هما ركن الدين وفخر الدين .

اهتم الوالد الشيخ بتربية ابنه فخر الدين وتنشئته دينياً وعلمياً وخلقياً ، فأخذيوجههإلى ما ينبغى العلم به من العلوم المفيدة ، ويرويه من معين الثقافة الإسلامية الخالص ، وكان الفخر يقر لوالده بالفضل في كثير من علومه ويطلق عليه في كتبه « الشيخ الوالد ، والأستاذ الوالد ، والإمام السعيد[٢] » .

---

(١) ديوان ابن عنين ص ٥٣ .

(٢) انظر مواضع كثيرة من التفسير منها : ج ٤ ، ص ١٥٣ ، ج ٥ ، ص ١٨٤ ، وانظر لوامع البينات ص ٢٤٠ .

فاهتم فخر الدين الرازى بجميع فروع العلم والثقافة ، قرأها واستوعبها ونبغ فيها بما وهبه الله من عقل واع وذكاء حاد .

شيوخه ومعلموه :

كان أبوه أول شيوخه وأجلهم تأثر به ولازمه طول حياته فآراؤه دائما موافقة لآراء أبيه فهو ينقل عنه بإعجاب لحكمته وبلاغته ، فقد تتلمذ على علم أبيه الأصول الأشعرية والفروع الشافعية فذكر الإمام فخر الدين الرازي ذلك في كتابه تحصيل الحق حيث قال : إنه آشتغل في علم الأصول على علم والده ، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري [1] ، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي [2] .

---

(١) أبو القاسم الأنصاري : العلامة سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري الشافعي المتكلم . تلميذ إمام الحرمين وصاحب التصانيف ، وكان صوفياً زاهداً من أصحاب القشيرى .
قال ابن شهبه : « كان فقيها إماماً فى علم الكلام والتفسير زاهداً ورعاً يكتسب من خطه لا يخالط أحداً » ، شرح « الأرشاد » للإمام وله كتاب الغنيه .
وتوفي في جمادى الآخر من عام اثنى عشر وخمسمائه هجريه .
انظر : شذرات الذهب : ج ٤ ، ص ٣٤ .

(٢) أبو المعالى الجويني : هو عبدالملك بن الشيخ ابي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله الحيويه ابو المعالي الجويني الفقيه الشافعي ، ضياء الدين .
أحد الأئمة الأعلام تفقه على علم والده فى صباه ولكنه لم يرض بتقليد والده ، وسلك طريق المباحثة والمناظرة ، وكان يتردد إلى المشايخ في أنواع العلوم حتى ظهرت براعته في المناظرة للمبتدعة ، فشاع ذكره ثم خرج إلى مكه فجاور بها أربع سنين ينشر العلم ثم خرج إلى المدينة فجاور بها أربع سنين ينشر العلم ولهذا قيل له « إمام الحرمين » . صنف كتباً كثيرة لم يصنف أحد فى المذهب مثلها ، منها : « الشامل » و « الأرشاد » ، « العقيده النظاميه » وغيرها . ولد عام (٤١٩ هـ) . وتوفي سنة (٤٧٨ هـ) .
انظر شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٣٥٩ .

وهو على الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني [١] ، وهو علي الشيخ أبي الحسن الباهلي [٢] . وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري [٣] ، وهو علي ابي علي الجبائي [٤] أولاً ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة [٥] .

---

(١) الاسفرايني : هو ابراهيم بن محمد بن مهران الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني الأصولي المتكلم الأشعري الفقيه الشافعي الإمام ، أحد الاعلام ، وصاحب التصانيف الكثيرة .
إمام أهل خراسان ، وركن الدين ، أحد من بلغ رتبة الأجتهاد ، وبنى له الحاكم مدرسة لم يبن مثلها مدارس . له تصانيف مفيدة . صنف : « كتاب جامع الحلى في أصول الدين – والرد على الملحدين » . في خمس مجلدات كان لا يجوز الكرامات ، وله تعليقة فى أصول الفقه . توفي يوم العاشر من محرم عام (٤١٨ هـ) .
انظر الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) الباهلي : هو أبو الحسن الباهلي البصري المتكلم الأشعري أخذ عن أبي الحسن الأشعري علم النظر وبرع فيه ، كان مع تقدمه في العلوم تقياً ورعاً .
قال الباقلانى : « كنت أنا والأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني والأستاذ ابن خورك معاً في درس أبي الحسن الباهلي ، فكان يدرس في كل جمعة مرة » . توفي عام (٣٧٠ هـ) .
انظر : الوافى بالوافيات : ج ١٢ ، ص ٣١٢ .

(٣) الأشعرى : هو علي بن اسماعيل بن ابي بشر إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي برك بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ، وكان أبوه إسماعيل بن إسحاق من أهل السنه والجماعة وأصحاب الحديث .
انظر : طبقات الشافعية : ج ٧ ، ص ٣٤٩ .

(٤) الجبائي : أبو علي الجبائي بالضم والتشديد نسبة إلى جبين بالقصر . قرية بالبصرة .
وهو محمد بن عبدالوهاب البصري شيخ المعتزلة وأبو شيخ المعتزلة أبي هاشم ، وعن أبي علي أخذ شيخ زمانه أبو الحسن الأشعري ثم رجع عن مذهبه .
توفي أبو علي الجبائي سنة (٣٠٣ هـ) .
انظر : شذرات الذهب : ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٥) انظر وفيات الأعيان : ج٢ ، ص ٣٦٨ .

كما ذكـر في كتابه أيضاً أنه تتلمذ في الفروع الشافعيـة على علم والده الشيـخ ضيـاء الدين فقرأ عليه المذهب الشافعي ، ووالده على أبي محمـد الحسـين بـن مسعـود الفراء البغـوي [١] ، وهـو على القاضي حسين المروزي ، وهو على القفـال المروزي [٢]، وهو على أبي زيد المروزي [٣]وهو على ابي إسحاق إبراهيـم بن أحمـد المروزى [٤].

---

(١) البغوي : هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الملقب بـ « محي السنة » وكان هذا الشيخ إماماً بارعاً عديم النظير في علم التفسير وأحاديث الرسول ﷺ ، وكان معاصراً لحجة الإسلام الإمام الغزالي ، وكان البغوي فقيهاً شافعياً محدثاً مفسراً بحراً في العلوم تفقه على القاضي حسين المروزي ، توفي في شوال سنة (٥١٦هـ) .
انظر : روضات الجنات : ج ٣ ، ص ١٨٧ .

(٢) المروزي : هو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي شيخ الشافعية في زمانه وأحد أصحاب الوجوه ، تفقه على أبي بكر القفال ، وكان من أنجب تلاميذه وكان يلقب بحبر الأمه .
وقال النووي في تهذيبه « وله التعليق الكبير وما أجزل فوائده واكثر فوائده المستفادة وله الفتاوي المشهورة وكتاب أسرار الفقه وغير ذلك » . توفى عام (٤٦٢ هـ) .
انظر : شذرات الذهب : ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) القفال المروزي : هو الفاضل الفقيه والكامل النبية أبوبكر عبد الله ابن أحمد بن عبد الله الشافعي الملقب بالقفال المروزي . كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وورعاً وزهداً ، وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه من الأثار ما ليس لغيره من أبناء عصره ، وتخاريجه جيدة وإلزاماته لازمه ، توفي عام (٤١٧ هـ) .
انظر : ومضات الجنات : ج ٥ ، ص ١٠٢ .

(٤) هو أبو إسحاق المروزي : ابراهيم بن أحمد شيخ الشافعية وصاحب ابن سريج ، وذو التصانيف أنتهت اليه رياسة مذهب الشافعية ببغداد ، كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً أخذ عن ابن سريج .
انتقل في آخر عمره إلى مصر وتوفي بها في رجب من عام (٣٤٠ هـ) .
انظر : شذرات الذهب : ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

وهو على أبي عباس ابن سريج [١] ، وهـو على ابي القاسم الأنماطي [٢] وهـو على ابي أبراهيم المزني [٣]، وهو على الإمام الشافعي [٤] رضي الله عنه وبعد وفاة والده تتلمذ فخر الدين على علم الكمال السمعاني [٥] وتفقه عليه مدة من الزمن ، كما ذهب إلى مرندو وأقام بمدرسة والد محي الدين قاضي ودرس الفقه على علم والد محي الدين وكان يشتغل به عنه » [٦] .

---

(١) ابن سريج : هو الشيخ ابو العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه الفارسي الشيرازي أحد المجتهدين على مذهب الشافعي كان يقال له البار الأشهب ، ولي القضاء في شيراز ، أخذ الفقه عن أبي القاسم الأنماطي وعنه أخذ فقهاء الإسلام .

توفي سنة (٣٠٦ هـ) ببغداد .

انظر : ومضات الجنات : ج ١ ، ص ٢٠٦ ، وشذرات الذهب : ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢) أبو القاسم الأنماطي : هو أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأنماطي الفقيه الشافعي ، كان من كبار الفقهاء ، أخذ الفقه عن المزني والربيع بن سليمان المراوي ، كان هو السبب في نشاط الناس للأخذ بمذهب الإمام الشافعي ببغداد .

توفي سنة (٢٨٨ هـ) .

انظر : شذرات الذهب : ج ٢ ، ص ١٩٨ . وانظر : وفيات الأعيان : ج ٣ ، ص ٢٤١ .

(٣) المزني : هو الفقيه أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المصري صاحب الإمام الشافعي الذي قال فيه : « المزني ناصر مذهبي » كان زاهداً عابداً . صنف الجامع الكبير والصغير ومختصره والمنثور والمسائل والترغيب في العلم وكتاب الوثائق وغيرها ، تولى غسل الشافعي يوم وفاته ، وقيل عاونه الربيع ودفن إلى جنبه بالقرافة الصغرى .

وتوفي المزني سنة (٢٦٤ هـ) . ودفن بجانب الشافعي .

انظر : شذرات الذهب : ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤) هو محمد بن ادريس بن عباس بن شافع بن سايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب الإمام الشافعي المعروف رضي الله عنه

انظر : وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٥) قيل هو كمال السمعاني

انظر : وفيات الأعيان : ج ٢ ، ص ٢٦٦ . وطبقات الشافعية الكبرى : ج ٥ ، ص ٣٥ .

(٦) انظر : عيون الأنباء : ص ٤٦٢ .



وبعد أن عاد إلى الري اشتغل على المجد الجيلي صاحب محمد بن يحيى الفقيه ، أحد تلامذة الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وكان مجد الدين هذا من أفاضل العلماء في زمانه وله تصانيف جليلة في الفلسفة والحكمة والمنطق وقد لازمه فخر الدين ولم ينفك عن الاستفادة منه حتى في أسفاره ولما رحل المجد الجيلي صحبه فخر الدين وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة وفلسفة الفارابي وابن سينا وينفرد الصفدي في ذكر أن فخر الدين الرازي قرأ عليه الطبسي صاحب « الحائر في العلم الروحاني » [1] .

هذا وقد شغف فخر الدين بالعلم وأكب على التحصيل ، وحرص على أن لا يضيع من حياته أي وقت في غير التعليم والعلم فكان يتمنى لو استطاع أن يستغني عن كثير من الحاجات الطبيعية ليجعل وقته المصروف فيها في طلب العلم ، فيقول : « والله إني لأتأسف في الفوات عن الاشتغال في طلب العلم في وقت الأكل ، فإن الوقت والزمان عزيز » [2] .

آفاقه العلمية :

لم يكتف فخر الدين الرازي بالدراسة والتفقه على يد كبار علماء عصره ، بل اعتمد على ما حباه الله به من عقل واع وذاكرة عجيبة

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات (ج ٣ ، ص ٣٨٢) ، (ج ٤ ، ص ٢٤٩) .
وانظر : مرآة الجنان : ج ٤ ، ص ٨ .

(٢) انظر : الوفيات : ج١ ، ص ٦٧٧ . انظر : مرآة الجنان : ج ٤ ، ص ١١ .
وانظر : عيون الأنباء : ج ٢ ، ص ٣٣ .

وذهن وقاد وذكاء خارق واستعداد للتعليم قل أن يتيسر لغيره ، فتميز حتى لم يوجد فى زمانه أحد يضاهيه ، فقرأ كل ما وقع في يده من كتب الحكماء المبرزين ، ومن تراث الأئمة السابقين ، معتمداً في ذلك على قدراته العقلية النادرة الممتازة فى فهم كل ما يقرأه .

يقول ياقوت الحموي : « سألت والده ضياء الدين عمر خطيب الري ، فقلت : له على من قرأ ولدك فخر الدين العلوم ؟

فقال : ليس له شيخ مشهور ، إلا أنه رحل إلي أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجد الدين الجيلى ، فقرأ عليه ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً ، وأخذ من الكتب » [1] .

حتى قيل أنه حفظ الشامل لإمام الحرمين والمعتمد لأبي الحسن البصري ، والمستصفى للغزالى[2] .

فاهتم بدراسة العلوم العقلية بحثاً عن حقائق العلم وفنون المعرفة وطلباً لمزيد العلوم والثقافة في جميع المجالات العلمية ، فقال « ما أذن لي في تدريس علم الكلام حتى حفظت اثنتي عشر ألف ورقة » [3] .

ويرى الإمام فخر الدين الرازي أن تعلم العلوم واجب شرعي لذلك أحب العلوم وأقبل على تعلمها بدون تفريق بينها الا لما يكون من فرق بين الفاضل والمفضول ، فالعلوم في نظره لا تخرج عن كونها واجباً

(١) تلخيص مجمع الأدب : ابن الفوطي ج ١ .

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٣٥ .

(٣) المحصول : ج ١ ، ص ٣٧ .

وذاك لأنـي عـارف بفنائهـا
ومسـتيقن ترحالهـا وإنحلالهـا
أروم أمورا يصغر الدهر عندها
وتستعظم الأفلاك طرا وصالها [(١)]

كما درس الفقه وأصوله وكتب فيهما . ففي الفقه له كتاب شرح « الوجيز للغزالي » [(٢)] وفي الأصول كتاب المحصول الذي جمع فيه علم الأصول من الأسبقين له في هذا العلم كإمام الحرمين والغزالي وأبو الحسين البصري وغيرهم وأبدع الرازي في هذا الفن من العلوم الأساسية في الدين وتناولها باسلوب فلسفي وصاغها بمنهج كلامي جمع فيه علم من كتب في هذا قبله فهماً وتحقيقاً ودراسة [(٣)]، وأضاف إليه مايدل على غزارة علمه وعمق تفكيره وأصالة منهجه

وتعلم الطب وبرع فيه ، يقول ابن صبيعة : « إن فخر الدين الرازي كان قوي النظر في صناعة الطب » وقد شرح قانون ابن سينا فى الطب ، وسمى هذا الشرح باسم « السرخى » اعترافاً منه بجميل ضيافته له [(٤)] .

---

(١) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٢) وقد فقد هذا الشرح ، ولم يعد بين أيدينا من كتابات الرازى فى الفقه إلا ماجاء فى تفسيره لآيات الأحكام التى تتعلق بمسائل الفقه .

انظر فلاسفة الإسلام ص ٢٩٧ .

(٣) انظر فلاسفة الإسلام ص ٣٠٠ .

(٤) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٢٣ .

كما درس التاريخ ، وأشتغل بالكيمياء ، وعرف الفراسة والقيافة ، وتعلم السحر ، كما عرف الهندسة وعلم المناجم [١] .

فكان فخر الدين بحق مفخرة العلم والعلماء ، فتفوق فى كل العلوم ، وبرع فيها حتى فاق أهل زمانه فى تحصيل العلم وفهمه وتحقيقه ، والإبداع فيه ، يقول الصفدى : « اجتمع - لفخر الدين الرازى - خمسة أشياء ماجمعها الله تعالى لغيره فيما علمته من أمثاله ، وهى سعة العبارة فى القدرة على الكلام ، وصحة الذهن والاطلاع الذى ماعليه مزيد ، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التى تعينه على مايريد فى تقرير الأدلة والبراهين ، وكان فيه قوة جدلية ونظرة دقيقة [٢] » .

لذا أتقن الإمام الرازى كل علم وصل إليه سمعه أو امتد إليه بصره ، وبرز فيه ، وكان من خير علمائه علماً وعملاً ، فكان فى دروسه ومناظراته يتمتع بقوة علمية وروعة منطقية وقدرة كبيرة على الجدل والإقناع [٣].

هذا وقد ذكر الشاعر ابن عنين أبياتاً من الشعر في مدح الإمام الرازي يقرر فيها أنه كان حرباً على البدع والمبتدعة وأهل الزيغ والضلال وأن غايته كانت نصرة الإسلام يقول الشاعر : -

---

(١) فخر الدين الرازى ، فتح الله خليف ص ١٢ .

(٢) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٤٨ .

(٣) انظر وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٥١ ، وطبقات الشافعية ج ٨ ص ٨٥ .

كانت به بدع عمادى عمرها

دهرا وكاد ظلالها لا ينجلي

فعلا بـه الإسلام أرفـع هضبة

ورسا سواه في الحضيض الأسفل

غلط امرؤ بأبي على قاسه

هيهات قصر عن مداه أبو علي

لو أن رسطا ليس يسمع لفظه

من لفظه لعرته هزة أفكل

ولجار بطليموس لو لاقاه من

برهانه في كل شكل مشكل

ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا

أن الفضيلة لم تكن للأول[1]

حتى خصومه شهدوا له بالحكمة والقوة الكلامية والفطنة يقول الشهرزوري : « أنه كان شديد الأستعداد قوي النفس في إستخراج اللطائف والفوائد من كلام الحكماء »[2] .

ولم يكن الإمام فخر الدين الرازي مقلداً لأحد من علماء الكلام أو الفلسفة بل نهج منهج خاص به فكتبه تبين طريقته وتؤكد أنه كان أشعرياً في قالب فلسفي ، فقد كان معتداً بنفسه كثير الإشارة بها والتحدث عنها معترفاً بفضل الله تعالى عليه أن حباه هذه النعم فيقول

---

(١) انظر : مقدمة التفسير الكبير : ج ١ ص ط .

(٢) فلاسفة الإسلام ، فتح الله خليفة ص ٢٧٥ .

لابد منه لتحقيق الإيمان بالله وتوحيده أو لمصلحة دنيويه أو لمعرفة ضرر واجتنابه

فدرس اللغة العربية وآدابها ، واللغة الفارسية وأسرارها وكان يكتب باللغتين ويخطب بهما ، فقد كان يعظ باللسانين العربي والعجمي »[١] .

ويعرض الشعر أحياناً بهما يقول : الصفدى « لفخر الدين شعر بالعربي ليس في الطبقة العليا ولا السفلى ، وشعر بالفارسي لعله يكون مجيداً فيه . فمن شعره باللغة العربية :

يا طالب التوحيد والإيمان

أبشر بكل كرامة وأمان

واعلم بأن أجل أبواب الهدى

تقرير دين الله بالبرهان[٢]

ويقول أيضا :

فلو قنعت نفسي بميسور بلغه

لما سبقت في المكرمات رجالها

ولو كانت الدنيا مناسبة لها

لما استحقرت نقصانها وكمالها

ولا أرمق الدنيا بعين كرامة

ولا أتوقى سوءها واختلالها

(١) المحصل : ص ٦ .

(٢) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٤٩ .

في كتابه الأربعين : « فهذا هو الكلام في هذه المقدمة ، مع أنه ليس لأحد من المتقدمين ولا من المتأخرين خوض فيها بالتقرير والأشكال وبالله التوفيق »[١] .

هذا وقد ترك لنا الفخر الرازي مكتبة ضخمة من الكتب العظيمة المتنوعة في جميع العلوم الشرعية والعقلية ، فكانت حصيلة فكرية ودينية وفلسفية ولغوية تمثل ذروة ما بلغه الفكر الإسلامي في عصر الإمام .

فهذا الانتاج العلمي الضخم للإمام الجليل يدل على عبقرية عالم واسع الأطلاع حاد الذكاء .

أحب العلم وأقبل عليه ، فكان مثالاً للباحث المدقق ، والعالم المحقق ، يتعمق في فهم المسائل ودقائقها ومشكلاتها ، حتى يصل إلى خفاياها فيظهرها ومجاهيلها فيبرزها . ويبين غموضها ، أيماناً منه بمكانة العقل الذي وهبه الله للبشر ، وله صبر على تتبع المسائل للوصول إلى العلم والمعرفة كبير .

فقد درس كل علم وكتب فيه وأجاد كل الأجادة وكأنه لم يعمل بغيره ، ولم يكتب سواه .

وذلك لأحتوائه لجميع جوانب كل علم بالتمحيص والتدقيق فالمتتبع لمنهج الإمام فخر الدين في كتبه يلحظ الدقة في العرض والنقد ويلحظ حرصه على التجديد في الاسلوب وطريقة الأستنباط ويجتهد في تحري

---

(١) في علم الكلام : ج ٢ ، ص ٢٨١ .

الصواب والحق في كل مسألة يتعرض لها بالدراسة والنقد فيؤكد ما يوافق رأيه وينقد مايخالفه نقداً علمياً بأدلة يرى فيها الصواب والحق وان كانت باطلة مخالفة لمنهج السلف .

ورغم إعجابه بالفلسفة إلا أن ذلك لا يحول دون نقدهم فيما خالفوا فيه العقائد الإيمانية .

وقد شهد الصفدي للإمام فخر الدين بالتجديد والابداع في كتبه ، حيث قال : « وهو - الإمام الرازى - أول من أخترع هذا الترتيب في كتبه وأتى فيها بما لم يسبق إليه لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروعها ، ويستدل بأدلة السير والتقسيم . فلا يشذ منه عن تلك المسألة فرع لها به علاقة فانضبطت له القواعد وأنحصرت معه المسائل »[١] .

فكان بزعمهم إمام المتكلمين في علم الكلام ، وفقيهاً من أبرز فقهاء الشافعية ، مفسراً ومبدعاً من أفاضل من تعلم وكتب في علم التفسير .أصولياً من كبار الأصوليين . كان أديباً شاعراً وخطيباً . لما رزقه الله من نعمة الجدل التى هي أحسن ، لذا لُقب من قبل العلماء « بالإمام » .

فعلم الكلام من أهم العلوم وأولها عند الإمام فخر الدين .لأنه يرى أن علم الكلام من أشرف العلوم وأجلها وقد أستدل على شرفه بأدلة عقليه فى أول كتابه « نهاية العقول » يقول فيه : « ولا شك أن الفرض الأهم والمطلوب الأعظم من علم الكلام معرفة الله تعالى وصفاته وكيفيه أفعاله ولاشك أنه سبحانه وتعالى أشرف المعلومات وأعظمها .

---

(١) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٤٩ .

ويؤكد الإمام فخر الدين في أهمية علم الكلام والاستدلال على شرف هذا العلم ومكانته بين العلوم الأخرى وذلك ببيان فساد ضده وأنه كفر وبدعه ، فشرف الشيئ يمكن معرفته بمعرفة قبح ضده ، فعلم الكلام إيمان ويقين وضده كفر ومعصية ، لذا وجب أن يكون اصابة الحق فيه من أشرف وأول وأهم العلوم .

أما علم الأصول فالمطلوب منه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله جل ثنائه . ومعرفة أقسام المعلومات من المعدومات والموجودات أشرف الأمور ولا شك ، وأما الحاجة إليه فشديدة لأن الحاجة أما في الدين وإما في الدنيا ، ففي الدين فالحاجة شديدة لأن من عرف ربه حق المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله أستوجب الثواب العظيم ومن جهلها إستوجب العقاب الأليم .

وأما في الدنيا فلأن مصالح العالم إنما تنتظم عن الإيمان بالصانع والبعث والحشر وإذا لو لم يحصل هذا الإيمان لوقع الهرج والمرج في العالم .[1]

---

(١) الإمام فخر الدين الرازى ص ٥٦ - ٥٧ .

المبحث الثانى

منهج
الإمام فخر الدين الرازى
و آراؤه العلمية

المبحث الثانى

منهج الإمام فخر الدين الرازى واراءه الكلامية

اعتمد الإمام الرازى في منهجه العلمى على العقل المجرد وقدمه في كثير من استدلالاته على النصوص الشرعية ، وبرهن على يقينية الدلائل العقلية ، وجعل الدلائل النقلية ظنية لا تفيد اليقين إلا إذا صدقها دليل عقلي .

واتخذ لنفسه قانوناً كلياً يسير عليه في تقديم العقل على النقل فبين إن الدلائل العقلية القطعية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدت أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك ... فإما ان يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين ، وإما ان يردا جميعا ... وإما ان يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل ، والقدح في الأصل قدح في الفرع ، فالقدح في العقل قدح في السمع ، فوجب تقديم العقل ... ثم النقل إما ان يأول المعنى إلى مايوافق العقل ، وإما ان يفوض معنى الدلائل النقلية ويكتفى بالدليل العقلي ، فبهذا كان من القائلين بتأويل المتشابه الذين يصرفون الالفاظ عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فقال في معنى التأويل : « هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح بوجود قرينة » ولا يشترط في القرينة ان تكون نقلية بل قد يتخذ قرينة عقلية تصرف اللفظ إلى المعنى المراد تأويله وقد جاء كتابه « اساس التقديس » شامل لهذا القانون ، فقد استدل على وجود الله تعالى فيه بدلائل العقل أولاً ثم النقل ، ثم ذكر

الصفات المأولة والتى يظن أنها تشعر بالجسمية كاليد والوجه والعين والساق ... كما أنه بين صفات الافعال التى لله تعالى والتى يدعى أنها لا تليق بالله ، لذا وجب تأويلها كالمحبة والرضا والغضب والسخط والمكر والاستحياء .

ورغم تقديم الإمام الرازى للعقل على النصوص الشرعية في كثير من الموضوعات إلا أنه لا ينكر قدسيتها وتقديمها على العقل في بعضها ، كاستدلاله على صفتى السمع والبصر واثبات الرؤية لله تعالى وأحوال الجنة والنار والمعاد ، وفي هذا يقول : « ومعلوم ان خبر الشارع عن ثبوت الشيء يفيد العلم به ... ولولا صحة هذه الطريقة للزمنا القطع بعدم وقوع جملة الممكنات التى لاطريق تؤدى إلى العلم بوقوعها إلا إخبار الشارع نحو مقادير السموات والكواكب وأحوال الجنة والنار ومقادير الثواب والعقاب وحضور الملائكة ... »[١] .

سلك بهذا المنهج طريق المتكلمين فكان كما وصفه السبكى« إمام المتكلمين ذا الباع الواسع في تعليق العلوم ، والاجتماع الشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم »[٢].

ويطالب الإمام فخر الدين بإقامة الأدلة القوية والبراهين البينية في إثبات وجود الله تعالى وصفاته ، ويوجب صحة هذه الأدلة وسلامتها وبداهتها فيقول « ولا شك أن الأدلة المستعملة في مباحث هذا العلم يجب أن تكون مؤلفه من علوم ضروريه تأليفاً يعلم صحته بالضرورة

(١) نهاية العقول : ٥/ أ .

(٢) طبقات الشافعية : ج ٨ ص ٨١ .

ونعلم بالضرورة لزوم المطلوب منه ذلك هو النهاية في قوة الدليل ووثاقة الأستدلال » كما يرى أن علم الكلام هو أول العلوم وأن جميع العلوم محتاجة إليه .

فيقول : « لأنه لو لم يثبت أن للعالم صانعاً عالماً قادراً حياً فكيف يتمكن المفسر والمحدث والفقيه من الشروع في علومهم ، فإذن ماعدا هذا العلم من علوم الدين محتاج إليه مع إستغنائه عنه . وذلك يوجب زيادة شرفه على شرف غيره »[١] .

فكان من أبرز معالم منهجه : « قدرته الفائقة على جمع اطراف الموضوع وتقديمه في نسق منظم فإذا عرض لمسألة كلامية أو مشكلة فلسفية استعرض الاراء المختلفة للمسألة وربط بينها بإحكام دون ان ينفلت منه زمام الموقف ، وهو يناقش وجهات النظر التى يعرض لها ويحدد موقفه الذى يعتقد أنه الحق ويدافع عنه »[٢] .

ويرى الإمام فخر الدين الرازى أن أهمية علم الكلام تبدو في مواضيع أدلة القرآن الكريم والسنة الهادية ، والتى لايتطرق إليها النسخ والتفنيد ، ولا تختلف بإختلاف الأمم والضواحى على خلاف سائر العلوم ، فأدلتها قد تختلف من مكان لمكان أو من زمان لزمان فدل ذلك على شرف العلم وجلاله بشرف دلائله القطعية اليقينية ، كما ان معظم الآيات في الاستدلال على وجود الله تعالى واثبات صفاته والدعوة إلى توحيد الله تعالى الخالص من شوائب الكفر والألحاد وإثبات

(١) انظر نهاية العقول ج ١ . ١/أ .

(٢) في علم الكلام : ج ٢ ص ٢٨١ .

أسمائه وصفاته العظيمة الكاملة ، حتى آيات قصص الأنبياء فمعظمها دليل لبيان قدرة الله وحكمته ورحمته وعظمته ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِم عِبرَةٌ لأُولِى الألبَـبِ ﴾ .[١]

وإليك بعض هذه الأدلة القرآنية التى تؤكد أهمية علم الكلام وشرف المعلوم به كما يزعم الإمام الرازى .

قال سبحانه جل شأنه :

﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَخفَى عَلَيهِ شَىْءٌ فِى الأَرضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ ﴾.[٢]

وقال تباركت أسمائه :

﴿ أَلاَ يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ .[٣]

وقال عز من قائل :

﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُم فِى الأَرحَامِ كَيفَ يَشَآءُ ﴾ .[٤]

فهذه عينَ أدلة المتكلمينَ التى يستدلون بها علىَ احكام الأفعال وإتقانها ، ومنها يستدلون على علم الله تعالى ، أما استدلالهم على توحيد الله الذى لا إله سواه فهو ، قوله جل ثنائه :

﴿ قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ .[٥]

---

(١) سورة يوسف : آية : (١١١) .

(٢) سورة آل عمران : آية : (٥) .

(٣) سورة الملك : آية : (١٤) .

(٤) سورة آل عمران : آية : (٦) .

(٥) سورة الأخلاص : آية : (١ – ٢)

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ لَو كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [١] .

وقوله جل ثنائه :

﴿ قُل لَّو كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ [٢] .

وقوله تقدست ذاته :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [٣] .

وغيرها كثير ، فعلم الكلام والاستدلال فيه على وجود الله تعالى كما يراه الإمام الرازى من سنن المرسلين ونهجهم في الدعوة إلى الله .

ولم يكتف الإمام الرازي بالاستدلال على أهمية علم الكلام بسرد الأدلة العقلية والنقلية ، بل أورد شبه المخالفين له فى أهمية هذا العلم ورد عليهم بما يراه حق .

ويرى الإمام فخر الدين أن علم الكلام يهدف إلى إثبات الحق والدفاع عنه ، ورفض الباطل والقضاء عليه ، وإحلال اليقين محل

---

(١) سورة الأنبياء : آية : (٢٢) .

(٢) سورة الأسراء : آية : (٤٢) .

(٣) سورة المؤمنون : آية : (٩١) .

الشك عن طريق المناظرة والاستدلال بالحجة وإقامة البراهين المؤكدة لصحته ، لأنه العقيدة الدينية التى جاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لتأكيدها .

قال تبارك وتعالى :

﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ﴾ .[1]

ومعلوم أن الجدل هنا هو لتقرير التوحيد وإثبات النبوة ، وقد اتخذه نوح عليه السلام أسلوباً ومنهجاً .

وإبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ، وإستدلاله على وجود الله تعالى بأفول الكواكب ومناظرته للنمرود فى قدرة الله تعالى دليل آخر على أهمية علم الكلام والدعوة إليه .

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَـٰهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ﴾ [2] .

---

(١) سورة هود : آية : (٣٢) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٨) .

وقال جل ثناؤه :

﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وموسى عليه السلام ومجادلته لفرعون في إثبات وجود الله تعالى .

قال تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ (٢) .

ورسول الهدى سيدنا محمد ﷺ ومجادلاته ومناظراته مع اليهود والنصارى والمشركين .

قال جل ثناؤه وتقدست ذاته :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام : آية : (٨٠) .

(٢) سورة : طه : آية : (٤٩ – ٥٣) .

(٣) سورة النحل : آية (٤٩ – ٥٣) .

فهذا أمر من الله تعالى لرسوله الكريم بالمجادلة الحسنة للمخالفين لما جاء به من عند الله تعالى .

وقد حاول الإمام الرازي جاهداً بما وهبه الله تعالى من قوة العقل وعمق التفكير وسلامة الإدراك أن يوسع مدركات العقل في حدود الشريعة الإسلامية فمع تأثره بالفلسفة التى تعلمها وأجاد فيها وأستدل في كثير من علومه باستدلالاتها ، إلا أنه كان يرد الشبه الفلسفية المخالفة للإسلام عقيدة وشريعة ، فكان يرد على شبه اليهود والنصارى والوثنيين والفرق الضالة كالدهرية والقدرية والمجسمة وغيرهم بأدلة قرآنية وإستدلالات عقلية بما في الكون من آيات وآثار دالة على وجود الله تعالى وقدرته وتوحيده وأفعاله وعلى البعث والنبوة والقدر .

لأن الإمام يرى أن الرسول ﷺ وصحابته عرفوا الله بالدليل وأستخدموا في معرفته النظر والآستدلال ، وأنهم لم يسكتوا عن علم الكلام إلا من حيث هو علم له مصطلحات منطقية خاصة كالجوهر والعرض وغيره .

وإن كان الإمام فخر الدين الرازي يرى أن أهمية علم الكلام لاثبات أشرف العلوم وأجلها وهو توحيد الله تعالى ، وبعض العلوم الأخرى المتعلقة به صواباً .

إلا أن العلوم الأخرى كالفقه وأصوله لم تسلم من استدلالاته الفلسفية وبراهينه المنطقية فرغم أن الفقه وأحكامه لا يحتاج دائماً في إثبات أحكامه إلى النظر والاستدلال ، فالله تعالى وضع أحكاماً لا

يمكن مجادلتها أو مناقشتها في كل الأحوال بالعقل البشري ، فلو كانت هناك أمور قد تحتمل القياس والاستدلال الا أن ذلك لا يمكن تطبيقه على كل الأحكام الفقهيه .ولبيان ذلك نذكر تعليل الإمام فخر الدين الرازي لحق الوكيل ، لنرى مدى صعوبة المسائل الفقهيه حينما يطبق عليها الاستدلالات المنطقية والمناظرات الفلسفية ، فتحول المسألة الفقهيه البسيطة الواضحة إلى مسألة نظرية معقدة يصعب على المسلم فهمها ، يقول الإمام الرازي في مناظرته مع الرضى النيسابورى :« الوكيل بالبيع المطلق لا يملك البيع بالغبن الفاحش والدليل عليه أن التوكيل بالبيع لا يتناول هذا البيع لا بلفظه ولا بمعناه ، موجب أن لا يصلح هذا البيع .

إنما قلنا أن التوكيل لا يتناول هذا البيع لأنه وكلّه بالبيع . والتوكيل بالبيع لا يكون توكيلاً بهذا البيع ، أما أنه وكله بالبيع فظاهر ، وأما أن التوكيل بالبيع لا يكون توكيلها بهذا البيع ، فلأنّ مسمى البيع مفهوم مشترك بين البيع بثمن المثل وبين البيع بالغبن الفاحش ، وما به المشاركة مغاير لما به الممايزة وغير مستلزم له . فثبت أن التوكيل بالبيع لا يتناول بالغبن الفاحش بحسب اللفظ ... »[١] .ويتابع الإمام فخر الدين كلامه في الاستدلال على أن الوكيل لا يملك أن يبيع بالغبن الفاحش « بالمصطلحات المنطقية فيقول : « أما أنه لا يتناوله بحسب المعنى فالدليل عليه أن الإفادة بحسب المعنى عبارة

---

(١) فلاسفة الإسلام ص ٢٩٨ .

عما إذا دل اللفظ على شئ ولذلك الشئ لازم خارج عن ماهيته لزوماً دائماً أو لزوما أكثرياً . فاللفظ الدال على المستلزم يفيد ذلك اللازم إفادة بحسب المعنى ، وهنا الأمران مفقودان أما أن قيد كونه واقعاً بالغبن الفاحش ليس من لوازم مسمى البيع لزوماً دائماً فظاهر ، لأن مسمى البيع مفهوم مشترك بين البيع لزوماً دائماً . والا لحصل ما به المباينة أينما حصل ما به المشاركة ، وحينئذ يصير ما به المباينة مشتركاً فيه ، وذلك متناقص ... »[1] .

أما في علم أصول الفقه فقد أبدع الإمام فخر الدين وكان في مقدمة أهل التحقيق من الأصوليين .

فبعد أن استوعب كتب السابقين في علم الأصول أخذ الإمام الرازي يكتب في هذا العلم دون أن يكون مقلداً لأحد منهم ولم يجمع ما قالوا ثم لخصه وقرره . بل نظر فيما جاء في كتب السابقين نظرة الفاحص المدقق ، والناقد البصير وملاحظاته على من سبقه تدل على أهم ما امتازت به كتاباته في علم أصول الفقه ، فكثيراً ما يستدرك على إمام الحرمين الشريفين والغزالي وأبي الحسين والقاضي عبدالجبار وغيرهم ويتعقب أقوالهم ويختار منها ، وأحياناً يستدرك عليهم جميعاً ليختار هو ما يراه الأنسب أو الأقوى وأحيانا يتعجب منهم فيقول : « والعجب من الأصوليين أنهم أقاموا الدلالة على خبر الواحد

(١) فلاسفة الإسلام : ص ٢٩٨ .

أنه حجة في الشرع ولم يقيموا الدلالة على ذلك في اللغة وكان هذا أولى لأن إثبات اللغة كالأصل للتمسك بخبر الواحد ... »[١] .

فالإمام الرازي أصولي على طريقة المتكلمين وفقيه شافعي ومفسر مبدع « وضع لنفسه منهجاً في تدوين التفسير ، اعتبر غريباً غير مألوف من قبل إذ جمع في التفسير كل علم من نحو وبلاغة وعلم وفلسفة في الرأي .

فهو أول من استحدث التفسير الكوني للآيات مستعيناً بالفلسفة والمنطق والعلم ، يصرف القول ويشقق المسائل ، وينتصر للمذهب الشافعي في آيات التشريع ، فجمع في تفسير الكبير مختلف العلوم من المباحث العقلية »[٢] .

فلو اطلعنا على تفسيره الكبير لوجدنا الإمام الرازي لم يترك مسألة من مسائل الكلام الا وعرض لها وفصل القول فيها . فقد عرض للأدله على وجود الصانع ووحدانيته في أكثر من موضع في التفسير وفصل القول في صفات الله وفي أفعاله وفي ما يجوز عليه وما لا يجوز من الأسماء والصفات والأفعال ، وتكلم في أفعال العباد وفي عصمة الأنبياء وشفاعتهم وفي الكفر والإيمان ، وناقش المعتزلة في ماهية المعدوم وخلق القرآن وصفات المعانى ورؤية الله والوعد والوعيد وخلق أفعال العباد ، ورد على كثير من الفرق الكلامية كالكرامية

---

(١) المحصول فى علم الاصول الفقهية ج ١ ص ٤٠ .

(٢) فى علم الكلام ج ٢ ص ٢٧٨ .

وغيرها [١] . فنرى أن الإمام فخر الدين يتناول الآية بالشرح والتفصيل من جميع جوانبها الكلامية والفقهية واللغوية والبلاغية والفلكية ، ويذكر سبب نزولها ، وآراء المفسرين ، وهذا مما يشهد للإمام بسعة الاطلاع وعمق التفكير وغزارة العلم .

وهذا ماذكره تاج الدين السبكى فى كتابه بقوله : « بأن تفسير الإمام الرازى : فيه كل شئ مع التفسير » .

كما ان كتبه الأخرى تذخر ببراهين الفلاسفة وأدلة المتكلمين في كثير من مبادئه وأرائه ، فيفصل أمر حدوث العالم تفصيلاً لم يسبق له نظير ، فقال : بإمكان الذوات وإمكان الصفات ، وبحدوث الذوات وبحدوث الصفات ليتوصل بالحدوث إلى المحدث وليتوصل بالمخلوقات إلى الخالق[٢] ، وقد أستدل بكل الدلائل فى تفسيره لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرضِ لأَيَـٰتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾[٣] .

---

(١) فلاسفة الإسلام ص ٣١٦ .

(٢) انظر المطالب العالية ج ١ ص ٦٦ .

(٣) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .

المبحث الثالث :

موقف الإمام
فخر الدين الرازى
من الفلسفة

المبحث الثالث

موقف الإمام فخر الدين الرازى من الفلسفة

نبغ الإمام فخر الدين الرازى فى دراسة الفلسفة وفهم أصولها ومبادئها ، فكان لهذا التفوق أثر كبير على أسلوبه ومنهجه ، الذى سلكه وامتاز به فى مناظرته ومؤلفاته على اختلاف موضوعاتها ، فقد حرص الإمام الفخر على إيراد أقوالهم وحججهم فى معظم كتبه ، فذكرها تحقيقاً وتحليلاً لكل مسألة فيؤيد ما يراه موافقا للشرع والعقل ويرد ما يخالف الشرع ويبطل ما يعارض العقل بدليل أقوى وحجة أجلى ، ويرد عليهم بأساليبهم الفلسفية وأصولهم الكلامية ، فقد كان الرازى « واسع العلم حسن التلخيص لآراء الفلاسفة مقتدراً على التمييز بين أقوال الفرق ثم هو متكلم شديد الجدل عنيف على مناظريه ، بارع فى الرد على الفلاسفة »[1] والمطلع على مؤلفات الإمام الرازي يلاحظ تأثره الكبير بالفلسفة محاولاً عدم الخروج على أصول الدين والشرع بل نجده يرد على الفلاسفة ويبطل أقوالهم مثل قولهم الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وأن العلم الآلهي بالكليات دون الجزئيات ، وإنكار المعاد الجسماني ، ونظرية الفيض والعقول العشرة ، ووصف الباري بأنه عقل وعاقل ومعقول فإعجابه بالفلسفة لم يخرجه عن كونه متكلماً يناصر مذهب السلف بالتوفيق بين الفلسفة والدين .

---

(١) تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خالدون ص ٥٤٣ .

فنجد الإمام الرازي في كتابه المباحث المشرقية يقول :« والعجب أن الشيخ ذكر في الشفاء في باب إثبات أنه تعالى عقل وعاقل ومعقول ، لم يبين أن تعلقه للأشياء يستدعي حضور صورة الأشياء عنده ثم تلك الصور أما أن تكون قائمة بذاته أو بشئ آخر ، أو لا في محل ثم اختار القسم الأول وأبطل القسمين الأخيرين ، ثم لما شرع في شرح صفات واجبالوجود زعم أن كونه عالماً وصف سلبي مع أنه ليس بين الفصلين إلا شئ قليل وهذه مناقضة عجيبة »[١] .

أما القول بإعادة الجسم الذي أنكر اعادته الفلاسفة فيقول الإمام الرازي بعد عرضه لجميع أقوال الفلاسفة والمتكلمين : « أن من خاض في علم التفسير علم أن ورود – إثبات المعاد الجسماني – في القرآن ليس قابلاً للتأويل[٢] » ، بما يوافق رأي الفلاسفة في إنكاره ، بل هو جائز عقلاً وثابت شرعاً ويدل على جوازه عقلاً قدرة الله تعالى على جميع الممكنات ، وعلمه بجميع المعلومات فهو قادر على إعادة المعدوم قادر على تركيب الأجزاء التى تفرقت ، عالم بكل ماتفرق ، ومن ثم لا يستعصي عليه حشر الاجساد لأن حشرها أهون عليه من خلقها[٣] ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبدَؤُا الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ وَلَهُ المَثَلُ الأعلَى فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [٤] .

(١) المباحث المشرقية ج ٢ ص ٤٦١ .

(٢) كتاب الأربعين : ص ٢٨٨ .

(٣) فلاسفة الإسلام ص ٤٠٣ .

(٤) سورة الروم : آية (٢٧) .

المبحث الرابع :

مؤلفات الإمام فخر الدين الرازى وصيته ووفاته

مؤلفات الإمام فخر الدين :

لقد ترك الإمام فخر الدين الرازي لطلاب العلم والمعرفة ثروة علمية كبيرة تتمثل في كل ما كتبه ودونه من العلوم المختلفة والفنون المتنوعة ، والتي تشهد له بالعقل الكبير والعلم الغزير والإدراك الواسع والمكانة العلمية التى احتلها بين أقرانه العلماء ، وحررها التاريخ نموذجا حضارياً علمياً .

هذا وقد حظيت مؤلفاته باهتمام بالغ من قبل العلماء وطلاب العلم أمثال شيخ الإسلام إبن تيميه ، وإبن خلدون وغيرهما .

ونقد علم الإمام الرازي ليس فيه تقليل من شأنه أو علمه . بل هذا يؤكد أهمية العلوم التى كتب فيها فالناقد له لا ينكر ذكاءه وغزارة علمه ووعيه المتقد وصحة معظم أقواله في الإلهيات والتفسير لمعظم الآيات القرآنية .

ولا يسعنى في هذا البحث ذكر جميع كتب الإمام الرازى وسأكتفى بذكر أهمها وهى :

١ - التفسير الكبير - مفاتيح الغيب وهو من أهم المؤلفات للإمام فقد ضمنه كل العلوم اللغوية والكلامية والفلسفية والفقهية والطبيعية.كان من التفسيرات الجامعة لشتى العلوم الإسلامية [1] ويعد موسوعة إسلامية كبيرة حوت الكثير من علوم المنطق والفلسفة واللغة والفقه وأصوله ، كتب كل ذلك تحت ظل القرآن الكريم [2] .

---

(١) نصر الدين الطوسي - والغزويني في كتابه المفصل « تلخيص المحصل » .

(٢) ابن تيمية - محمد أبو زهرة ص ١٦٠ .

أما كتبه في علم الكلام فأهمها :

١ -المسائل الأربعون أو كتاب الأربعين في أصول الدين .

٢ - أساس التقديس أو تأسيس التقديس .

٣ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .

٤ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين ، أو المحصل من نهاية العقول في علم الأصول وهو من أهم كتب الإمام الرازي الكلامية .

٥ - الخمسون في أصول الدين (مخطوط)

٦ - نهاية العقول في دراية الأصول (مخطوط)

٧ - أجوبة المسائل البخارية أو منظرات الفخر الرازي في بلاد ما وراء النهر .

٨ - لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات .

٩ - عصمة الأنبياء .

١٠ - البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان .

١١ - المطالب العالية من العلم الآلهي .

وكتبه في الفلسفة :

١ - الحكمة المشرقية .

٢ - المباحث المشرقية وهو من أهم كتبه الفلسفية في شرح العقائد .

٣ - لباب الأشارات - وهو تلخيص كتاب الأشارات لأبن سينا .

٤ - شرح عيون الحكمة - وشرح الشفاء ، وكلها لأبن سينا .

وله كتب في علوم أخرى **كالمنطق والفقه والأصول الفقهيه** وغيرها ومنها :

- ترجيح مذهب الشافعي وأخباره .
- المحصول في علم أصول الفقه .

- شرح الكليات في القانون .
- رسالة في التنبيه على الأسرار المودعة في بعض سور القرآن .
- الآيات البينات في المنطق - ومباحث الوجود .

وغيرها كثير في كل علم وكل فن ، فهو كما قال الصفدي في مدحه بأبيات من الشعر يقول فيها :

قد كنت يا ابن خطيب الري معجزة
بذهنك المشرق الخالي من الكدر
دخلت في كل علم للأنام وقد
حررته بدقيق الفكر والنظر
إذا انتصرت لرأي أو لمسألة
ترجحت لأولى الألباب والفكر
وكل علم لك الفضل المبين به
فأنت حقا جمال الكتب والسير [1]

وصية الإمام :

حين مرض الفخر الرازي رحمه الله تعالى وأحس بدنّو الأجل أملى وهو في شدة مرضه على تلميذه ابراهيم ابن أبي بكر بن على الأصفهاني وصيتّه وذلك في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر محرم عام ست وستمائه هجرية وامتد مرضه حتى توفاه الله .

---

(١) الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٢٥٠ .

نص الوصية :

يقول العبد الراجي رحمه ربه ، الواثق بكرم مولاه ، محمد عمر بن الحسين الرازي ، وهو في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ، ويتوجه إلى مولاه كل آبق . إني أحمد الله تعالى بالمحامد التى ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ، ونطق بها أعظم أنبيائه في كل أكمل أوقات مشاهداتهم ، بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان ، فأحمده بالمحامد التى تستحقها ألوهيته ، ويستوجبها كمال ربوبيته ، عرفتها أو لم أعرفها ، لأنه لا مناسبة للتراب مع جلال رب الأرباب وأصلي على الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وجميع عباده الصالحين .

وبعد ذلك أقول : اعلموا أخواني في الدين وأخواني في طلب اليقين أن الناس يقولون : الانسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق وهذا العام مخصوص من وجهين :

الأول : أنه إن بقى منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء والدعاء له أثر عند الله .

الثاني : ما يتعلق بمصالح الأطفال والأولاد والعورات وأداء المظالم والجنايات .

أما الأول :

فاعلموا أني كنت محباً للعلم ، فكنت أكتب في كل شئ لأقف على كميته وكيفيته ، سواء كان حقاً أو باطلا أو غثاً أو سميناً ، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي : أن هذا العالم المحسوس

تحت تدبير مدبّر منزه عن مماثلة المتميزات والأعراض موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة .

ولقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التى وجدتها في القرآن العظيم ، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمق في أيراد العارضات والمناقضات .

وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة ، والمناهج الخفية .

فلهذا أقول : كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعّاليّة فذاك هو الذي أقول به ، وألقى الله تعالى به .

وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما والذي لم يكن كذلك .

أقول :

يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، فكل ما مر به قلمي أو خطر ببالي ، فأستشهد علمك وأقول : إن علمت منىّ أنىّ أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق فافعل بي ما أنا أهله ، وإن علمت منىّ أنىّ ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه الحق ، وتصورت أنه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي ، فذاك جهد المقل ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة .

فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي . يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين ولا ينتقص بخطأ المجرمين . وأقول : ديني متابعة سيد المرسلين - صلوات الله عليه وأزكى التسليم - وكتابي هو القرآن العظيم وعويلى في طلب الدين عليهما .

اللهم يا سامع الأصوات ، ويا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات ويا راحم العبرات ، ويا قيام المحدثات والممكنات ، أنا كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء في رحمتك ، وأنت قلت : « أنا عند ظن عبدي بي »[1] وأنت قلت :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[2].

وأنت قلت :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3] .

فهب : أنني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم وأنا المحتاج اللئيم .

وأعلم أنّه ليس لي أحد سواك . ولا أجد محسناً سوالك وأنا معترف بالزلّة والقصور ، والعيب والفتور فلا تخيب رجائي ، ولا ترد دعائي وأجعلني آمناً من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت

---

(١) حديث قدسي متفق عليه رواه أبو هريرة مرفوعاً . صحيح مسلم ج ١٧ ص ٢ ، وأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٥١ .

(٢) سورة النحل : آية (٦٢) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٨٦) .

وسّهل علي سكرات الموت وخفف عنّي نزول الموت ، ولا تضيق عليّ بسبب الآلام والأسقام فأنت أرحم الراحمين .

وأما الكتب العلمية التى صنفتها ، أو استكثرت في إيراد السؤالات على المتقدمين فيها ، فمن نظر في شئ منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام وإلا فليحذف القول السيئ فإني ما أردت إلا تكثير البحث ، وتشحيذ الخاطر ، والاعتماد في الكل على الله .

وأما المهم الثانى : « وهو إصلاح أمر الأطفال والعورات ، فالاعتماد فيه على الله تعالى ثم على نائب الله محمد علاء الدين نكش [١] اللهم اجعله قرين محمد الأكبر فى الدين والعلو إلا أن السلطان الأعظم لا يمكنه ان يشتغل بإصلاح مهمات الاطفال فرأيت الأولى : أن أفوض وصاية أولادى إلى فلان وأمرته بتقوى الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحسِنُونَ ﴾ [٢] .

وأوصيه ثم أوصيه ثم أوصيه بأن يبالغ فى تربية ولدى أبي بكر فإن أثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه ولعل الله تعالى يوصله إلى خير » . [٣]

---

(١) محمد علاء الدين تكش : هو السلطان محمد علاء الدين تكش ، تلميذ فخر الدين الرازى . انظر الكامل ج ١٢ ص ١٥٣ .

(٢) سورة النحل : آية (١٢٨) .

(٣) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٧ - ٢٨ .
طبقات الشافعية ج ٨ ص ٩٠ .

وفاته رحمه الله :

لقد اشتد عداء خصومه الكرامية له فقيل أنهم رجموه يوماً على المنبر وأرسلوا إليه من يدس السم فسموه فمات والله أعلم .

فذكرت مصادر ترجمته أن وفاته كانت عام ست وستمائه هجرية ١٢١٠م وقيل في أول يوم عيد الفطر في شوال من نفس السنة وقيل غير ذلك [١] .

كما أن الفخر أوصى تلامذته بإخفاء خبر موته عن كل الناس . وأن يكفنوه ويدفنوه على شرط الشرع ويحملوه إلى الجبل المصاقب لقرية « مزداخان » ويدفنوه هناك وإذا وضعوه في اللحد قرأوا عليه ما تيسر لهم من القرآن ثم ينثرون التراب عليه وبعد تمام الدفن يقولوا :

« يا كريم جاءك الفقير المحتاج فأحسن إليه [٢] » .

---

(١) وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٥٢ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ٢١٥ ، وطبقات الشافعية ج ٨ ص ٩٣ .

(٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٨ .
طبقات الشافعية ج ٨ ص ٩٣ .

الفصل الثانى

حياة
شيخ الإسلام ابن تيمية

تمهيد

المبحث الأول :

(١) مولده ونشأته .

(٢) مكانته العلمية .

المبحث الثانى :

(٣) منهجه وأراؤه العلمية .

(٤) مؤلفاته .

ooooo

الفصل الثاني

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

تمهيد :

عالم جليل أعجز الأقلام عن وصف عبقريته ، وإمام فضيل أدهش العقول بغزير علمه وحدة ذكائه ، وشيخ نبيل دعا الجميع لاحترامه وتقديره .

إنه العلامة الكبير شيخ الإسلام : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن علي بن عبدالله الحراني .[١]

الملقب بتقي الدين أبي العباس ابن الشيخ شهاب الدين [٢] أبي المحاسن المفتي الحنبلي[٣] .

وجده الشيخ مجد الدين أبو البركات وعبدالسلام ابن عبدالله الحراني [٤] الفقيه الحنبلي والإمام المقرئ المحدث والمفسر الأصولي .

---

(١) انظر الوافي بالوفيات .
أنظر شذرات الذهب : ج ٦ ، ص ٨٠ .

(٢) شهاب الدين أبو المحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية نزيل دمشق الحنبلي ابن مجد الدين . ووالد شيخ الإسلام أحمد ابن تيميه ، ولد سنة سبع وعشرون وستمائة هجرية ، تفقه على يد والده وتفنن في الفضائل ، درس وأفتى وصنف وصار شيخ البلد بعد أبيه .
وكانا إماما محققاً كثير الفنون له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة متواضعاً حسن الخلق جواداً .
انظر : شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٣٧٦ .

(٣) كان من أعيان المذهب الحنبلي
- الشيخ عبدالحليم بن عبدالسلام - باشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية .

(٤) مجد الدين أبو البركات جد إمامنا شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، فكان شيخ الإسلام وأحد الحفاظ الأعلام وفقيه وقته . قال الشيخ جمال الدين بن مالك : « ألين للشيخ مجد الدين الفقه كما ألين الحديد لداود » فكان عديم النظير رأساً في الفقه وأصوله بارعاً في الحديث ومعانيه . له معرفه في القراءات والتفسير . له تصانيف كثيرة اشتهر بها . توفى في حران يوم عيد الفطر من عام اثنان وخمسين وستمائه هجرية .
انظر : شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٢٧٥ .

المبحث الأول :

مولد شيخ الإسلام
ابن تيمية ونشأته
ومكانته العلمية

المبحث الأول

حياة شيخ الإسلام ابن تيمية

مولده ونشأته :

ولد إمامنا الجليل تقي الدين ابن تيمية بحران[1] في بلاد الشام في اليوم العاشر من ربيع الأول سنة واحد وستين وستمائة هجرية ، في أسرة كريمة ، طاهرة اشتهرت بالفضل والكرم ، وارتقت بالدين والتقوى وسمت بالعلم والنهى ، فكانت ولادته خيراً ونصراً للإسلام والمسلمين في عصر تاه فيه الحق بين الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة والآراء المنحرفة المخالفة . عاشت الأسرة الكريمة بحران بضع سنين إلى أن أغار التتار على حران ، فانتقلت بعد ذلك إلى دمشق وهناك عاش الإمام ابن تيمية في رعاية والده وجده ينهل من فضلهما وعلمهما منذ طفولته .

حفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ شهاب الدين ثم بعد ذلك اتجه لحفظ الحديث فبرع فيه ، ونظر في الرجال والطبقات ونبغ في تخريج الأحاديث .

فقد سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات وسمع الكتب السته ومعجم الطبري الكبير وما لا يحصى من الكتب والأجزاء . وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء ، وحفظ منها الكثير .

---

(١) هي بلدة قديمة كانت من أهم مراكز الديانات القديمة ، وتقع شمال شرق تركيا قرب « اورفه » من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وهي من بلاد الاناضول ، وهي الآن بلدة عامرة بعد الخراب الذى أصابها باحتلال التتار لها .

انظر الاعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام بهامش ص ١٨ .

حياة شيخ الإسلام هامش ص ٨ .

كما نبغ في تفسير القرآن الكريم فغاص في بحر معانيه ، واستخراج حقائقه وبين إعجازه وأظهر بلاغته . قال الذهبي في معجم شيوخه : « وبرع في تفسير القرآن ، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد ، إلى مواضع الأشكال ميال واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها » [١] .

أتقن اللغة العربية وفنونها لفظاً ومعنى ، فعنى بها عناية كبيرة ، وكانت له ملكة قوية في اللغة العربية استخدمها في حياته العلمية واعتمد عليها في كتاباته ومباحثه ومناظراته فقد درس كتاب سيبويه بنظر ناقد وعقل واع فأظهر بعض مواضع ضعفه وبين ما يخالفه فيه وأيد صحيحه وانتقد ضعيفه .

ودرس أيضاً جزء كبيراً من كلام العرب ونثرهم وشعرهم واطلع على أحوال الجاهلية والعرب قبل الإسلام وبعده وتوسع في دراسة التاريخ الإسلامى فأفاد من هذه الدراسات ، وكان سبباً كبيراً لتفوقه العلمي واهتم تقي الدين ابن تيميه بدراسة العلوم الدينية اهتماماً بالغاً، فانكب على دراسة الأصول العقائدية على مذهب السلف الصالح ثم تابع بعد ذلك دراسة المذاهب المخالفة لهم - أصحاب علم الكلام - والذين اعتمدوا في إثبات الأصول على الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي فاتقن الفلسفة والمنطق ورد على أهلها كما فاق في معرفة الفقه وأصوله ، جميع من كان في عصره على اختلاف مذاهب الفقه الشافعى والحنبلي والمالكي والحنفي ، فأقبل على دقائقه وأمعن

---

(١) انظر : شذرات الذهب : ج ٦ ، ص ٨١ .

النظر في مباحثه ودلائله وحفظ قواعده واستوعب حججه وإجماعه حتى بلغ مرتبة الاجتهاد [١] وتعلم الجبر والحساب والمقابلة والهندسة والكيمياء وعلم النفس والفلك إلى غير ذلك من العلوم والفنون فكان مبدعاً لا مقلداً ، ومتبعاً لأصول السلف لا مبتدعاً وكان الإمام ابن تيمية مطلعاً على أمور الحياة والمجتمع خبيراً بأحوال المدينة وعادات الناس وأخلاقهم ، وكان واسع النظر عميق الدراسة للحياة والمجتمع [٢] .

فالله جل شأنه قد جمع للإمام ابن تيمية كل العوامل الطيبة التى ساعدته على التفقه والتعلم والدراسة لجميع أنواع العلوم وفنونه ، وصيرته عالماً عظيماً فريداً في عصره فكان من أهم العوامل البيئة الصالحة ، والوراثة الطيبة والعقل النير ، والذكاء الفذ ، والإدراك الواعي ، والحافظة القوية ، والشجاعة النادرة في مواجهة الباطل ، وإرادة قوية في إظهار الحق بالحق .

يقول الشيخ فتح الدين بن سيد الناس عن ابن تيمية : « أنه أحد الحفاظ المعروفين ... وأنه كان يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه » [٣] .

---

(١) انظر شذرات الذهب ج ٦ ص ٨٢ .

(٢) رجال الفكر والدعوة : ج ٢ ، ص ٣٢ .

(٣) انظر : شذرات الذهب : ج ٦ ، ص ٨٣ ..

فبعد أن عكف الإمام ابن تيمية على هذه الدراسة العميقة للعلوم وتبحر فيها ، أدرك مواطن الخطأ فيها وحددها .

ومواضع الضعف وأبرزها ثم تصدى للرد عليها وانتقاد الأصول التي اعتمد عليها أصحابها والمخالفين للكتاب والسنة وقد أثنى عليه الشيخ أثير الدين أبي الحيان بأبيات قال فيها :

لما رأينا تقي الدين لاح لنا
داع إلى الله فرداً ماله وزر
على محياه من شيما الأول صحبوا
خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبر
بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا
مقام سيد تيم إذا عصت مضر
فأظهر الدين إذ آثاره درست
وأخمد الشرك إذا طارت له شرر [١]

وهكذا أخذ الإمام تقي الدين ابن تيمية من كل مناهل العلم والمعرفة وجمع فنون الثقافة حتى أصبح مثلاً في الإلمام بجميع العلوم ، منقولها ومعقولها .

---

(١) انظر : شذرات الذهب : ج ٦ ، ص ٨٣ .
انظر : الدرر الكامنة : ج ١ ، ١٦٢ .

واحتار العلماء في وصف علمه وخلقه ، فقد اشتهر عنه كل خلق كريم وعلم غزير منذ حداثة سنه .

قال الذهبي عنه : « نشأ - الإمام ابن تيمية - في تصون وعفاف وتأله وتعبد وزهد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في سفره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت »[١] .

حتى الاعتقال لم يضعف من همة الإمام في الدراسة والتأليف ، فقد كان الاعتقال فرصة طيبة له حيث انقطع للعبادة والتلاوة ثم بالمطالعة أو المذاكرة على كل ما يعلمه ويتعلمه ، فكان أكثر ما كتب في الاعتقال التفسير وعلومه لكثرة تلاوته وتدبره للقرآن ، فقد قيل أنه ختم القرآن في إحدى اعتقالاته كما كان يجيب على كل ما يرد عليه من استفتاء وهو في الحبس ، فكان كما وصفه الذهبي : « كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك رأساً فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في النقليات هو في زمانه سيد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وامراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ... نبغ في جميع علوم الإسلام وأصولها وفروعها ، ودقها وجلها ، سوى علم القراءات »[٢] .

---

(١) العقود الدرية : ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، وانظر أصول الفقه لابن تيمية ص ٧٧

وصدق القائل الشيخ محمود بن على بن محمود الدقوقي في رثائه :

جمعت علوم الأولين مع التقى
إلى الورع الشافي الذي صاح حمده
وكنت تقي الدين معنى وصورة
قؤولا ، وخير القول عندك جده [١]

ويقول آخر : وهو الشيخ قاسم بن عبدالرحمن بن نصر :

وله الزهادة والعبادة منهج
وبسنة الهادي له استبصار
حاز العلوم : أصولها وفروعها
وبكل ما يروى له آثار [٢]

ولم يكن الإمام ابن تيمية عالماً جليلاً وإماماً تقياً فحسب بل كان مجاهداً شجاعاً قوياً في محاربة الأعداء بالسيف ، فمواقفه الخالدة ضد التتار - والتي أبلى فيها البلاء الحسن في نصرة الحق وإزهاق الباطل تشهد له بالبطولة والكرم والشجاعة والإقدام ، فقد قام شيخ الإسلام بحض الناس على الجهاد ومحاربة الأعداء وحماية الإسلام ودياره في المساجد ومساحات العلم ، يذكرهم بآيات الله تعالى وأقوال

---

(١) العقود الدرية : ص ٢٧٢ .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٧٥ .

الرسول ﷺ في وجوب الجهاد وفضله ، وجعل من نفسه قدوة صالحة لهم في القول والعمل ، فحمل السلاح وحارب معهم في موقعة - شقحب - مع جيش نائب السلطان في معسكر الشام ضد التتار ، فحارب شيخ الإسلام كأفضل مجاهد في ساحات الحرب يقاتل ببسالة نادرة وبعزيمة صادقة وهمة عالية وإيمان صادق بنصر الله « فما كان حمله السيف مجاهدا إنصرافاً عن العلم ليحترف القتال ، بل كان تطبيقاً للعلم وتقوية له بالعمل به أسوة بعلماء الصحابة الذين كانوا فرساناً مجاهدين ، فتقدم للميدان مقتديا بهم مقتفيا آثارهم ليتحقق العلم والعمل »[1] .

مكانته العلمية :

بلغ الإمام ابن تيمية بعلمه المكان الرفيع ، والمجد العريق ، فكان إماماً يقتدى به في حياته وبعد مماته ، اجتمعت فيه شروط الإجتهاد على أصولها . فبجده الذي لا يعرف الكلل ، وذكائه الحاد في فهم دقائق الأمور ، وذاكرته الحافظة المستوعبة لكل ما يسمعه ، وسرعة إدراكه ، وصل إلى هذه المكانة العظيمة من العلم والتقى والشجاعة[3] .

يقول السيوطى في وصف الإمام ابن تيمية :« فوالله ماوقعت عينى على أوسع علماً ولاأقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية[2] ».أسند

---

(١) ابن تيمية محمد أبو زهرة : ص ١٢٠ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ، ص ٢٧٢ .

(٣) انظر مقدمة موافقة صحيح المنقول : ج ١ ص ٩ .

إليه التدريس بعد وفاة والده وهو في سن الثانية والعشرين وقد حضر الدرس الأول له كبار علماء دمشق وفضلاؤها ، كالقاضي بهاء الدين بن الزكي[١] ، والشيخ تاج الدين الفزارى [٢] ، والشيخ زين الدين ابن المنجا[٣] . وغيرهم من كبار العلماء ، فترك ذلك في نفسهم أثراً عميقاً

---

(١) بهاء الدين بن الذكي : هو القاضى بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن القاضى محي الدين يحيى بن القاضي محي الدين أبي المعالي محمد بن القاضي زكي الدين على بن محمد بن يحيى القرشي الدمشقي الشافعي .
ولد سنة ٦٤٠هـ .
برع فى العلم بذكائه المفرط وقدرته على المناظرة ، وقد جمع له أجل مدارس دمشق .
توفى فى الحادى عشر من ذى الحجة سنة ٦٨٥ هـ .
شذات الذهب ج ٥ ص ٣٩٤ .

(٢) تاج الدين الفزارى : هو شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى المصرى .
ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٦٦٠ هـ .
له تعليقة على مختصر ابن الحاجب فى الأصول وغيره ، وله دراية بعلوم الحديث ، كان حسن السمت والتواضع وورع .
توفى بالبادرئية فى جمادى الأولى سنة ٧٢٩ هـ .
شذرات الذهب ج ٦ ص ٨٨ .

(٣) زين الدين ابن المنجا : هو العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى ، أحد من انتهت إليه رياسة المذهب اصولاً وفروعاً ، مع التبحر فى العربية والنظر والبحث وكثرة الصيام والصلاة والوقار .
ولد فى العاشر من ذى القعدة سنة ٦٣١ هـ .
من تصانيفه شرح المقنع فى أربع مجلدات ، وتفسير القرآن .
توفى يوم الخميس الرابع من شعبان سنة ٦٩٥ هـ .
شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٣٣ .

من التقدير والاحترام وجعلهم يعترفون بغـزارة علم الإمام الشاب وعمق إدراكـه ، ورجاحـة عقـله وفصاحة لسانه يقول الحافظ ابن كثير عن هذا الدرس الأول لشيخ الإسلام : « وكان درساً هائلاً وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده وكثرة ما استحسنه الحاضرون ، وقد أطنب المستمعون له في شكره على حداثة سنه وصغره »[1] .

ثم جلس شيخ الإسلام ابن تيمية يوم الجمعة أيضاً بعد صلاة الجمعة لتفسير القرآن الكريم ، فأبتدأ فيه بالتفسير وصار يجلس كل جمعة ليتابع التفسير ، فاجتمع عنده الخلق الكثير يستمعون له ويستفيدون منه لكثرة ما يورد من العلوم المتنوعة المحرره مع الديانة والزهادة والعبادة فشاع علمه بين الناس وتناقلت أخباره بين الأقطار والبلدان ، لأن الإمام ابن تيمية كان يحب التفسير ويجله فيجمع من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم وكان رحمه الله يقول : « ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله تعالى الفهم ، وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمنى » .

فحرص شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في التفسير على نقل أقوال السلف ، كما هي دون نظر أو إستدلال عقلي لأنه يرى أن القرآن العظيم فيه ما هو بيّن بنفسه ، وفيه ما قد يبينّه المفسرون في بعض الكتب .

---

(١) البداية والنهاية : ج ١٣ ص ٣٠٣ .

أما ما أشكل تفسيره على بعض العلماء المفسرين أو لم يتمكنوا من توضيح المراد من الآية ، فقد حاول الإمام ابن تيمية توضيح ما أشكل فهمه بالدليل العقلي .

هذا وقد قيل أن الإمام ابن تيميه ندم على ضياع وقته في علوم أخرى غير تفسير القرآن والوقوف على معانيه الجليلة وألفاظه الحكيمـــة .

أما السنة فقد حفظ شيخ الإسلام كل ما يتعلق بها من أحاديث المصطفى ﷺ متناً وسنداً ، فقد كانت له خبرة تامة بالرجال وطبقاتهم ، يقول : الحافظ الذهبي عنه « ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه ، وكانت السنه بين عينيه وعلى طرف لسانه »[1].

فكان إلمام شيخ الإسلام ابن تيميه بالحديث وعلومه كبيراً لم يعرف له مثيل في حفظه وتمييزه لصحيح الحديث وضعيفه . ولرجالها ودرجاتهم . حتى قيل عنه « كل حديث لا يعرفه ابن تيميه فليس بحديث »[2] .

أما الفقه فعلى الرغم من أن الإمام ابن تيميه بلغ مرتبة الاجتهاد وفي الأحكام الفقهية والمسائل القضائية الا أن معظم فتواه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وبعضها يتفق مع اجتهادات الأئمة المشهورين - مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفه - وغيرهم من أئمة الاجتهاد وله

---

(١) العقود الدرية : ص ٢١ .

(٢) القول الجلى ص ١٠١ .

اجتهادات في بعض المسائل الفقهيه خاصة به إلا أنه لم يخرج عن أصول الفتوى والاجتهاد ومصدرهما الكتاب والسنة والقياس والاجماع - والذي حرص دائماً على رد كل الأصول والفروع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ واستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[١] .

وقال الذهبي في وصف شيخ الإسلام ابن تيميه : « كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التى يوردها منه .ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه . كأن السنة نصب عينيه ، وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة ، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه ، وأما أصول الديانه ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه »[٢].

فابن تيميه العالم الجليل شيخ الإسلام بحر من العلم يزخر بجميع أنواع العلوم وفنونها ، وكنز من المعرفة لا مثيل له ، كان فصيح اللسان بديع البيان حاضر البديهة حاد الذكاء ، سريع الجواب ، يحتج بالقرآن وآياته ، والحديث ورجاله ، والمنطق ورسومه ، فيدهش الأتباع ، ويحير الأعداء ، ويسكت البدعة ويخمد الضلالة .

---

(١) سورة النساء : آية : ٥٩ .

(٢) انظر : الدرر الكامنة : ج ١ ، ص ١٦٣ .

المبحث الثانى :

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية
وأراؤه العلمية
مؤلفاته

المبحث الثاني

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وآراءه العلمية

اعتمد شيخ الإسلام ابن تيميه في عقيدته وارائه على كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ وجعلهما المصدر الذي يستقي منه علمه وتعقله ، فهما أصل كل علم ومعرفة في الدين وعلومه وفي العقل ودلالاته لذا اتخذ الإمام القرآن العظيم والسنه الهاديه ، مع ما صح عنده من أقوال الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - من إجماع على رأي أو اجتهاد أو قياس ، منهجاً قويماً ، وأسلوباً صحيحاً لعقيدته وعلومه على تنوعها .

أما العقل فشيخ الإسلام لا يغْفل مكانته ولا يبخس حقه ولكن يرى « أنه لا يكون مستقيم الإدراك في الوصول إلى حقائق الدين منفرداً بل لابد أن يكون معه من النقل اليقينى الذي جاء به الوحى الأمين على سيد المرسلين ﷺ من الكتاب والسنة - فالعقل محكوم بالقرآن ومقدماته في الاستدلال ، لا حاكماً على أدلة القرآن »[1] .

لأن القرآن العظيم والسنة الكريمة جاءت بالأدلة العقلية الهادية ، والبراهين القطعية الراشدة والتى تبين أصول الدين وحقائقه « كما بينها الرسول ﷺ أحسن بيان ودل الناس عليها وهداهم إليها فبها يعلمون المطالب الآلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبيته تعالى ووحدانيته وصفاته وصدق الرسول ، والمعاد وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وإن كان لا يحتاج إليها ، فإن كثيراً

---

(١) ابن تيميه : ص ٢١٥ .

من الأمور يعرف بالخبر الصادق ، ومع هذا فالرسول بيّن الأدلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقتين السمعي والعقلي » [١] .

وهكذا حدد شيخ الإسلام ابن تيميه أصوله الإيمانيه ومناهجه العلمية لتثبيت عقيدته الإسلامية وتأييد آرائه السلفية في الأصول والفروع بالدليل النقلي والعقلي .

لأنه يرى : « أن أصول الدين أما أن تكون مسائل يجب اعتقادها ويجب أن تذكر قولاً وتعمل عملاً ، كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد ، أو دلائل هذه المسائل .

أما الأول : - فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله تعالى ورسوله ﷺ . بياناً شافياً قاطعاً للعذر ، وشاملاً لكل الدلائل المبيّنه لأصول الدين ، الموافقة للفطر السليمة ، والعقول الصريحة » [٢].

ولقد أكد شيخ الإسلام هذا الأمر في كل ما ألفه وكتبه من أن حجة العقل الصريح لا تناقض الشرع الصحيح خلافاً لما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون من تقديم العقل على النقل إذا كان هناك ما يشعر بالتعارض أو الاختلاف لذلك يرد شيخ الإسلام ابن تيميه علي المتكلمين والفلاسفة بمنطقهم واسلوبهم في إثبات مذهبه السلفي الذي يوفّق به بين دلائل القرآن المتضمنه للبراهين العقلية وبين الآيات الكونية الدالة على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله ﷺ

---

(١) حياة شيخ الإسلام : ص ٩٦ .

(٢) المصدر السابق .

كما بين أصول الدين وكيفية الاستدلال على اثباتها من القرآن العظيم والسنة المطهرة ، ورد على باطل علمهم بعلمهم فيظهر الحق ويبطل الباطل من ذلك ما قاله في إثبات عدم تعارض الدليل العقلي والنقلي إن كانا قطعيين : « إذا تعارض دليلان سواء أكانا سمعييّن أو عقلييّن أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً ، فالواجب أن يقال : لا يخلو إما أن يكونا قطعييّن أو يكونا ظنيين ، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً ، فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين ، أو سمعيّين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً ، وهذا متفق عليه بين العقلاء لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطله ، وحينئذٍ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر للزم الجمع بين النقيضين وهو محال ، بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التى يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي ، أو أن لا يكون مدلولاهما متناقضين فأما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين ، وإن كان أحد المتعارضين قطعياً دون الآخر فإنه يجب تقديمه بإتفاق العقلاء سواء كان سمعياً أو عقلياً فإن الظن لايدفع اليقين ، وأما إن كانا ظنيين فإنه يصار أي طلب ترجيح أحدهما فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً »

وبهذا التفصيل المحقق المتفق عليه بين العقلاء يتبين أن إثبات التعارض بين الدليل العقلى والسمعى والجزم بتقديم العقلى معلوم الفساد بالضرورة وهو خلاف ماأتفق عليه العقلاء »[1].

---

(١) طريق الوصول : ص ٤٥ - ٤٦ .

وانتقد شيخ الإسلام ابن تيمية الفلاسفة نقداً شديداً وأبطل كل أقوالهم بأقوالهم وأساليبهم ، وبين ضعف استدلالاتهم التى بنوا عليها مبادئهم وأصولهم . فأضعف أصولهم ودلائل أئمتهم وزعمائهم ، أرسطو وأفلاطون وسقراط وطاليس وغيرهم ، فزعزع قواعدهم وزلزل أركانهم التي اعتمدوا عليها حيث يقول :« صرح أساطين الفلسفة أن العلوم الآلهية لا سبيل فيها إلى اليقين ، وإنما يتكلم فيها بالأحرى والأخلق ، فليس لهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً »[1].

كما حاول فلاسفة الإسلام شرح الأصول العقائدية والحقائق الغيبية بالعلوم الفلسفية الجاهلية ، وتركوا الحق الذي جاء به الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - فضلوا وأضلوا أتباعهم حتى المتكلمون الذين اتخذوا الفلسفة والمنطق منهجاً وطريقاً لهم في إثبات الشرع عقيدة وشريعة ووقعوا في بعض ضلالات الفلسفة ، وقد تناولهم الإمام ابن تيميه بالنقد وإبطال كل ما يخالف ما جاء به السلف الصالح متابعة للرسول ﷺ وموافقة للفطرة العقلية والشرعية الآلهية .

وامتاز منهج شيخ الإسلام بعمق التفكير ، وسعة الأطلاع ، ووضوح العبارة وكثرة الاستدلال على البيان من كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مستعيناً على تفصيل مجمله بأقوال الرسول الأمين ﷺ القائل : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي »[2] .

---

(١) الرد على المنطقيين : ص ١٨٧ .

(٢) رواه مالك بن انس فى الموطأ ج ٤ ص ٢٤٦ .

فكان يرد على كل مسألة علمية بجميع ما يرد فيها من الأدلة النقلية والعقلية فيستشهد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة وما تؤكده الدلائل العقلية من صحة مذهبه ورأيه في تلك المسألة .

كما يرى أن مخاطبة أهل الكلام والفلسفة باصطلاحاتهم ليس مكروهاً ، إذا احتاج إليه المخاطب وقد كره ذلك الأئمة .

مؤلفات شيخ الإسلام :

أهدى شيخ الإسلام ابن تيميه للفكر الإسلامي روائع فكره وبدائع قوله بلسان فصيح وعقل صريح ، فقدم منهجاً إيمانياً قويما ، ورسم طريقاً سلفياً مستقيما فيما خلفه من كتب ورسائل في كل علم وفن كتب فيه شيخنا الجليل من التفسير وعلومه والعقيدة وأصولها والفقه وأحكامه وعلم الكلام وفلسفته والمنطق وقواعده والحديث ورجاله مالايحصى من الرسائل والمجلدات التى تشهد بجودة تفكيره وحكمة تدبره لشريعة الإسلام لفظاً ومعنى .

ما كتبه في التفسير :

رسائل تضمنت تفسير بعض آيات القرآن التى رأى أنها قد تكون بياناً لغيرها من الآيات قد جمعها د / محمد السيد الجليند في كتاب يسمى « دقائق التفسير » جمعها من اثنين وتسعين رسالة لبعض آي القرآن .

ولقد قال المؤرخون ، ناقلين عن تلاميذه : « أنه جمع قدراً كبيراً في تفسير القرآن الكريم ، وقالوا إنه يقع في أكثر من ثلاثين مجلداً .

ربما دون أصحابه بعضه وكثير منه لم يكتبوه أو لعل الباحثين يعثرون على ذلك التفسير كاملا فإن الذي أثر عنه هو نماذج جيدة للتفسير السلفي قد إختلط بعمق النظر وسلامة الذوق ، من غير أن يطغى النظر على الأثر ، أو يضيع الفكر بين الروايات » [1].

مؤلفاته في العقيدة :

١ - **كتاب الإيمان** : وضمنه تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً حسب أقوال جميع المذاهب والفرق والرد عليهم ، وهل الإيمان يزيد وينقص ووثق رأيه بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية وإجماع السلف .

٢ - **الاستقامة** .

٣- **واقتضاء الصراط المستقيم** .

٤ - **الفرقان** .

٥ - **شرح العقيدة الأصبهانيه** .

٦ - **رسائل الحمويه - التدمريه - الواسطيه - الكيلانية البغدادية - والبعلبكية - والأزهرية - والإكليل ومعارج الوصول - والسؤال عن العرش - ورسالة القضاء والقدر** ... وغيرها من الرسائل في العقيدة السلفية والرد على كل المخالفين من أهل الزيغ والضلال .

وله في المنهج الاستدلالي العقلي كتباً ومؤلفات لها شأنها العلمي بين مؤلفات الإمام .

---

(١) ابن تيميه : محمد أبو زهرة ، ص ٥١٠ .

١ - **نقض المنطق / والرد على المنطقين .**

٢ - **منهاج السنة النبوية .**

٣ - **موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .**

٤ - **تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل .**

٥ - **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .**

٦ - **النبوات .**

مؤلفاته فى الفقه وأصوله :

وقد ترك الإمام ابن تيميه آثاراً فقهيه جليلة منها فتاويه المختلفة في مصر والشام وله اجتهادات فقهيه عميقة الفكر ، في كل المسائل الفقهيه وضع لها قواعد وضوابط على منهج السلف .

ومن هذه القواعد ، قواعد في الوقف والوصايا ، وقاعدة في الاجتهاد والتقليد ، وقاعدة شمول النصوص ، وقاعدة القياس ، وقواعد السفر ، وقواعد في الجهاد والترغيب فيه وغير ذلك من قواعد الفقه [1] .

أما الأصول الفقهيه فقد وضع ابن تيميه لنفسه منهجاً اعتمد عليه في الاستنباط والقياس والإجماع والتعليل هو في الجملة منهج الإمام أحمد بن حنبل فهو يعتمد رحمه الله تعالى على كتاب الله ، وما صح

---

(١) ابن تيميه : محمد أبو زهرة : ص ٥٢٠ .

عنده من أحاديث الرسول ﷺ ، ويرى أن الزيادة على النص ليست نسخاً بحال ، وأن القول فيها كالقول في تخصيص العموم وتقييد المطلق ويرى أنه لا ينسخ القرآن إلا قرآن،وغير ذلك من الأصول التى أعتمد عليها في مذهبه الذي ذهب إليه في أصول الفقه [1] .

موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول :

وهو من أهم كتب شيخ الإسلام ، حافل برده على الفلاسفة والمتكلمين . وبيان أن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ، فلا تعارض بينهما ولا تناقص ولا تضاد ، كما يزعم الفلاسفة والمتكلمون ، بل إن مراد الرسول ﷺ يمنع وجود أي تعارض بينهما في كل ما جاء به الوحى الأمين فيمتنع تقديم العقل على النقل، لذا امتاز أسلوب الكتاب بقوة الحجة ، وكثرة الاستدلال ، فقد استغل الشيخ الأدلة المنطقية والأصطلاحات الفلسفية والكلامية في الرد عليهم ليقيم الحجة عليهم ويبين تناقض أدلتهم ويؤكد لهم أن في القرآن من الأدلة القطعية على كل المطالب الدينيه ما يملأ القلب بنور الهدى ويغمر الروح باشراق الايمان الصحيح .

---

(١) أصول الفقه ص ١٩٠ .

(٢) انظر : مقدمة الكتاب / عبدالرحمن الوكيل .

الفرقان بين الحق والباطل :

وهو آخر كتب الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أودع فيه خلاصة فكره وعلمه الذي أسهب فيه في مصنفاته السابقة عن آراء الفرق الإسلامية ، فكان موجزاً في عرض الأفكار والرد عليها . كأنه خاطب به من عنده إطلاع واسع وإلمام كبير بمذاهب الفرق وأفكارهم ، لذلك جاءت عباراته غامضة مبهمة .

وكانت من أهم الموضوعات في الكتاب بيان أن السلف أولى بالأتباع من الفرق الضالة المنحرفة والتى نشأت منذ عهد الإمام على رضى الله عنه ـ حتى عهد ابن تيمية . فذكر كل فرقة مالها ، وما عليها وبين أن أصل الإنحراف عندهم ناشئ عن سوء فهمهم لنصوص القرآن .

الفتاوي :

وهي من أعظم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، فهي موسوعة علمية دينية فريده في جمعها لعلوم الإسلام وشمولها لمعارف الحق والصواب لذا نجد الفتاوي غنية بالتفسير وعلومه ، والتوحيد وأركانه والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه كما أنها مليئة بالرد على أهل الزيغ والطغيان ، القائلين بالحلول والاتحاد ، والنفي ، والتأويل ، والتعطيل ، والإنكار ، ... من أهل الأهواء والملل المنحرفة الضالة .

وقد جمعت الفتاوى فى خمسة وثلاثين مجلداً ملحقة بمجلدين فيها فهارس لجميع ما جاء فى الفتاوى .

---

(١) انظر : مقدمة الكتاب / تحقيق : حسين يوسف غزال .

وقد بدأ الشيخ عبدالرحمن بن قاسم جامع الفتاوى بكتاب « توحيد الألوهية » ثم بكتاب « توحيد الربوبية » ، ثم بكتاب « مجمل اعتقاد السلف » ثم بكتاب « مفصل الاعتقاد » ثم بكتاب « الأسماء والصفات » ثم بكتاب « الإيمان » ثم بكتاب « القدر » ثم بكتاب « المنطق » ثم بكتاب « علم السلوك » ثم بكتاب « التصرف » ثم بكتاب « القرآن كلام الله حقيقة » .

ثم بكتاب « مقدمة التفسير » ثم « ما فسر من أول القرآن حتى سورة الإخلاص » فى ثلاث مجلدات ثم بكتاب « الحديث » ثم « بأصول الفقه » ثم « الاتباع » ثم « التمذهب » ثم كتب « الفقه وأبوابه » .

الباب الثانى

الاستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده

الفصل الأول :

النظر والاستدلال وحكمه وافادته للعلم

الفصل الثانى :

الاستدلال على وجود الله تعالى

الفصل الثالث :

توحيد الله تعالى

الفصل الأول

النظر والاستدلال وأحكامه

المبحث الأول :

النظر والاستدلال عند الإمام فخر الدين الرازي .

المبحث الثاني :

النظر والاستدلال عند شيخ الإسلام ابن تيمية .

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي في النظر والاستدلال .



المبحث الأول :

النظر والاستدلال
عند الإمام فخر الدين الرازي

الفصل الأول

المبحث الأول

النظر والاستدلال عند الإمام فخر الدين الرازي

يذهب الإمام فخر الدين الرازي في تعريف النظر مذاهب المتكلمين حيث يعرفه بقوله : النظر **لغة** : الفكر .

واصطلاحاً : هو عبارة عن ترتيب العلوم الضرورية على وجه يلزم من حصولها حصول العلم النظري [١] . وفي موضع آخر يقول : « النظر هو عبارة عن ترتيب تصديقين ليتوصل بها إلى تصديق آخر [٢] ، ولم يذكر التصور في تعريفه لأن التصورات في اعتقاده ضرورية غير مكتسبة [٣] .

والمراد من التصديق إسناد الذهن أمراً إلى أمرٍ بالنفي أو الأثبات إسناداً جازما أو ظاهراً ، ثم التصديقات التي هي الوسائل ، إن كانت مطابقة لمتعلقاتها فهو النظر الصحيح والإ فهو النظر الفاسد [٤] إذن فالنظر الصحيح لا بد فيه من مطابقة كل واحد من تصديقاته لما في

---

(١) نهاية العقول : ١٨/أ .

(٢) المحصل : ص ٥٦ .

(٣) ذكر الإمام الرازي في إحدى كتبه قوله : « لأن كل تصديق فلابد فيه من تصور ولا ينعكس » .

(٤) المحصول : ج ١ ص ١٠٥ .

نفس الأمر وحسب الترتيب المطلوب ، ويوضح الإمام الرازي مذهبه في النظر بضرب الأمثلة على كيفية ترتيب المقدمات أو العلوم الضرورية والتى يحصل من ترتيبها على علم آخر .

مقدمة أولى	العالم متغير	بالمشاهدة
مقدمة ثانية	كل متغير حادث	بديهيـــة

النتيجة أو التصديق الناتج من المقدمتين الضروريتين العالـم حـادث [١] . ومثال آخر .

مقدمة أولى	الخشبة قد مستها النار	بالمشاهدة
مقدمة ثانية	كل خشبة مستها النار فهي محترقة	ضروريـــة

النتيجة أو التصديق الناتج من المقدمتين الضروريتين الخشبة محترقة [٢] فها هنا تصديقان أوليان علميان ضروريان توصلنا من ترتيبهماهذا إلى تصديق آخر ضروري ، إذ لا معنى لفكرإلاماحضر في الذهن من التصديقين المستلزمين للتصديق الناتج ثم إذا كانت المقدمتان يقينيتين كان التصديق الحاصل منهما يقينياً كذلك وإن كانتاظنيتين أو أحدهما كان التصديق الناتج ظنياً .[٣]

فحاصل الكلام في النظر أنه التفكر بترتيب أفكار معلومة بالضرورة في الذهن ليتوصل بها إلى علم مجهول ، ويقول الرازي : « إن حصول العلم في الذهن بالمقدمتين الضروريتين يوجبان علماً آخر ،

---

(١) معالم أصول الدين : ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) معالم إصول الدين : ص ٢٣ . المحصول : ج ١ ، ص ١٠٦.

فالتوصل بذلك الموجِب إلي ذلك الموجَب المطلوب هو النظر وذلك الموجب هو الدليـل » [١] . والدليـل في رأي ابن الخطيب « هو الذي يلزم من العلم به العلم بوجود المدلول ويكون عقلياً محضاً أو سمعياً محضاً أو مركباً منهما » .[٢] وفي موضع آخر يقول في تعريف الدليل : « اعلم أن كل ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر كان دليلاً على ذلك الشيء » [٣]. ويفرق الإمام الرازي بين الدليل والأمارة من حيث النتيجة إذ الدليـل عنده يؤدي إلى اليقين والأمارة تؤدي إلى الظن فيقول :

« الدليـل : هو الذي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر منه إلى العلم .

والأمارة : هي التى يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيها إلى الظن [٤] .

وفي موضع آخر يقول : « الدليل : هو الذي يلزم من العلم به العلم بوجود المدلول » [٥] .

---

(١) معالم أصول الدين : ص ٢٢ .

(٢) المحصل : ص ٧٠ .

(٣) يبين الرازي طريقة التلازم بقوله : « إنه إذا كان شيئان يكون أحدهما لازما للآخر أمكن الاستدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم وبعدم اللازم على عدم الملزوم وإلا يبطل اللزوم ، لكن لا يمكن الاستدلال بعدم الملزوم على عدم اللازم وبوجود اللازم على وجود الملزوم لاحتمال كون اللازم أعم من الملزوم » .

انظر : نهاية العقول : ٥/أ . ، وانظر : المحصل : ص ٧٢ .

(٤) المحصول : ج ١ ص ١٠٦ .

(٥) المحصل : ص ٧٠

ويقول : « العلم بذات الدليل مغاير للعلم بذات المدلول ومستلزم له » [١] .

والأمارة : هي التى تلزم من العلم بها ظن وجود المدلول [٢] . وقد قسم الإمام الفخر الدليل إلى أقسام منها ما هو عقلي ومنها ما هو سمعي ومنها ما هو مركب منهما .

أما الدليل العقلي : وهو ما يلزم من وجوده وجود المدلول أنه لابد من مقدمتين ، « لأن كل مطلوب فلابد فيه من موصوف وصفة والمطلوب حصول تلك الصفة لذلك الموصوف وإذا كان ذلك الحصول مجهولاً فلابد من ثالث ينتسبان إليه انتساباً معلوماً لتصير تلك النسبة المجهولة بواسطة النسبتين المعلومتين معلومة ، وحينئذٍ يحصل من انتسابها إليه مقدمتان وتكون المقدمتان الحاصلتان قريبتين إذا وجد الشئ الذى تنتسب إليه الصفة والموصوف انتساباً يلزم من العلم به العلم بذلك الاتصاف ويحصل المطلوب . وإن لم يحصل المطلوب كانت المقدمتان بعيدتين عن الانتساب إلى ذلك المجهول [٣] . وفي موضع آخر يذكر الإمام فخر الدين الرازي أن الدليل العقلي أو الأمارة العقلية لا لابد وأن يلزم من وجوده وجود المدلول ، فاللزوم حاصل لا محالة من هذا الطرف فإن لم يحصل من الطرف الآخر فهو الاستدلال بالمشروط على الشرط . كالاستدلال بالعلم على الحياة وإن حصل من الآخر فهو

---

(١) المحصل : ص ٦٩ .

(٢) المحصل : ص ٧٠ .

(٣) انظر : نهاية المعقول : ٥/أ .

الاستدلال بالعلة المعينة على المعلول المعين والمعلول المعين على العلة المطلقة أو المعينة إن ثبت التساوي بدليل منفصل أو بأحد المعلومين على الثاني وهو مركب من الأولين أو بأحد المتلازمين على الآخر كالمتضايفين [١] .

أما الدليل السمعي أو المركب منهما :

فيرى الإمام فخر الدين أنه يفيد العلم اليقيني إذا علم صدق القائل به عقلاً ، أما إذا لم يعرف صدق القائل عقلاً فلا يفيد إلا الظن لذا يقول : « أما السمعي المحض فمحال لأن خير الغير مالم يعرف بالعقل صدقه لم يفد »[٢] . وفي موضع آخر يقول :« وأما الأدلة السمعية فهي قول النبي ﷺ أو ما يسند إليه » [٣] .

وفي موضع آخر يذكر الإمام الرازي أن الدلائل الظنية إذا اكثرت قويت وقد تصل إلى اليقين وهذا ما بينه بقوله : « إن الدلائل قد تكون قطعية وقد تكون إقناعيه والاستكثار من الدلائل الأقناعية قد ينتهي إلى إفادة القطع وذلك لأن الدليل الأقناعي الواحد يفيد الظن ، فإذا أنضم إليه دليل ظني ثان قوى الظن . وكلما سمع دليلاً آخر إزداد الظن قوة ، وقد ينتهي بالآخره إلى حصول الجزم واليقين . وهذا ما أكده صاحب المنطق في تعليم قوانين الجدل حيث قال :« لأن القوانين الجدلية

---

(١) المحصل : ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق ، والمحصل : ص ٧٠ .

(٣) نهاية العقول : ص ٥/ب .

وإن أفادت الظن ، إلا أن تلك الظنون إذا قويت فقد تنتهي إلى حد اليقين »[١] .

ثم يذكر الإمام أن للمتكلمين طرق أخرى وتقسيم آخر لأفادة الأدلة لليقين أو الظن . نذكر منها على سبيل المثال : « أنهم - أي المتكلمين - متى حاولوا نفي شئ غير معلوم الثبوت بالضرورة قالوا أنه لا دليل عليه ، وكل ما لا دليل عليه وجب نفيه أما أنه لا دليل عليه . فذلك إنما يثبتونه بنقل أدلة المثبتين لذلك الشيء ثم بيان فسادها وضعفها وقد يقيمون الدلالة على حصر وجود الأدلة ثم يكتفون في بيان إنتقائها بعدم وجدانهم لها » [٢] .

ويعترض الإمام على هذا الزعم بقوله : « والأول أولى لأنه إذا كان لا بد في آخر الأمر من التعديل على عدم الوجدان فلأن نتمسك به إبتداء ، حتى نسقط عن أنفسنا مؤنة بيان حصر وجوه الأدلة أولى » [٣] .

ويتابع الإمام فخر الدين إبطال زعمهم بقوله : « من الجائز أن يكون على ثبوت ذلك الشئ دليل وأن لم يقف عليه المثبت له على ذلك الدليل ... فمن الجائز أن يوجد ما يدل عليه من أخبار الشرع عنه ومعلوم أن خبر الشارع عن ثبوت الشئ يفيد العلم به ... ولولا صحة هذه الطريقة للزمنا القطع بعدم وقوع جملة الممكنات التى لا طريق تؤدي

---

(١) المطالب العالية : ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر : نهاية العقول : ٥ ب .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٥٠/أ .

إلى العلم بوقوعها إلا إخبار الشارع نحو مقادير السموات والكواكب وأحوال الجنة والنار ومقادير الثواب والعقاب وحضور الملائكة والجن عندنا »[١] .

حكم النظر عند الإمام الرازي

يرى الإمام فخر الدين الرازي أن واجب لوجوب معرفة اللهّ تعالى فيقول في كتابه نهاية العقول :« إن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً . وتحصيل معرفة الله تعالى لا يمكن إلا بالنظر وما لا يكون الواجب المطلق إلا به كان واجباً ، فيكون النظر واجباً »[٢] . على المكلف القادر على النظر والاستدلال[٣] ويؤكد الإمام فخر الدين وجوب النظر بإيجاب الشرع له فقد أمرنا الله تعالى بالتفكر والنظر والتدبر في آياته والاستدلال بها على وجوده سبحانه وتعالى وجلاله وعظيم قدرته وربوبيته وألوهيته .

قال تعالى :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ ﴾[٤] .

---

(١) انظر : نهاية العقول : ٥/أ .

(٢) انظر المرجع السابق : ١٨/أ .

(٣) انظر : المحصل : ص ٦١ .

(٤) سورة الطور : آية (٣٥ ، ٣٦) .

وقال جل ثناؤه :

﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَ الأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَ النُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

فهذا أمر من الله تبارك وتعالى بالنظر في خلقه يدل على وجوب النظر .

ويذكر الإمام فخر الدين الرازي دلالة القرآن الكريم على وجوب النظر فيقول : « اعلم أنه تعالى لما بيّن في الآيات السابقة أن الإيمان لايحصل إلا بتخليق الله تعالى له ومشيئته . أمر بالنظر والاستدلال والتفكر والتعقل في الدلائل حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض ، ويدل ذلك على مطلوبين .

الأول : أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بالتدبر في الدلائل كما قال عليه السلام : « تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق »[٢] .

الثاني : هو أن الدلائل إمّا أن تكون من عالم السموات أو من عالم الأرض[٣] . لذا يستدل الإمام فخر الدين الرازي بكل آية من كتاب الله تعالى يعتقد أنها تدل على النظر صراحة أو ضمناً ، سواء كانت هذه الدلالة بالإيجاب أو الاستحباب ويعتبر أن ذكر القرآن للنظر والاستدلال يعني الوجوب ، ويؤكدها ببعض الأحاديث النبوية وبعض آثار السلف الصالح من دلائل وجوب النظر في معرفة الله تعالى وجعله من الواجبات على المكلف لأنها من سنن المرسلين .

---

(١) سورة يونس : آية : (١٠١) .

(٢) حديث ضعيف . الجامع الصغير ، ج ١ ص ٥١٤ .

(٣) التفسير الكبير : ج ١٧ ص ١٦٩ .

فاستشهد الإمام الرازي باستدلال خليل الله إبراهيم عليه السلام في الوصول إلى معرفة الله تعالى . بأفول الكواكب وهذا ما قاله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [1] .

فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الآله العالم القادر الحكيم فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين » [2] .

ويقصد بذلك رؤية الدلائل الدالة على وجود الله تعالى لأجل أن يصير من الموقنين ويتابع الإمام الرازي في بيان استدلال إبراهيم عليه السلام على وجود الله تعالى ببيان ما تضمنته الآيات الكريمات ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لآ أُحِبُّ الأَفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ٧٥ .

(٢) التفسير الكبير : ج ١ ، ص ٤٤ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ٧٦ - ٧٩ .

فالآيات تدل على أن معارف الأنبياء بربهم استدلاليه لا ضرورية وإلا لما احتاج إبراهيم عليه السلام إلى الاستدلال على وجود الله بأفول الكواكب التى لا يجوز أن تكون رباً وخالقاً له ، لأن كون الكواكب آفلة يدل على كونها محدثة ، وكونها محدثة يوجب القول بامتناع كونها قادرة على الإيجاد والابداع ولذلك جعل الإمام فخر الدين الرازي هذه الآيات من أقوى الدلائل وآكدها على وجوب النظر والاستدلال عقلاً ونقلاً . فالآية تدل على أن حصول معرفة الله تعالى لا بد فيه من النظر والاستدلال في أحوال مخلوقاته ، وإلا لما عدل إبراهيم عليه السلام إلى هذه الطريقة » [1] . ويدل على ذلك ما جاء في مجادلة نوح عليه السلام لقومه قال تعالى :

﴿ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾[2] .

ومعلوم أن تلك المجادلة ما كانت في تفصيل الأحكام الشرعية بل كانت في التوحيد والنبوة . فالمجادلة في نصرة الحق في هذا العلم هي حرفة الأنبياء[3] .

ولا يسعني في هذا البحث حصر الأدلة القرآنية التى استدل بها ابن خطيب الري على وجوب النظر وسأكتفي بذكر القليل منها .

---

(١) التفسير الكبير : ج ١٣ ، ص ٥٥ .

(٢) سورة هود : آية : ٣٢ .

(٣) التفسير : ج ٢ ، ص ٨٩ .

فمن دلائل وجوب النظر عند الإمام فخر الدين الرازي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

يقول ابن الخطيب الرازي في تفسير الآية « لقد ذكرت الآية ثمانيه دلائل على وجود الله تعالى . فاستدل بخلق السموات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وجريان الفلك في البحر ، ونزول المطر وإحياء الأرض وسقي التربة وإخصابها وإنبات الزرع ، وخلق الانسان والحيوان ، وتصريف الرياح ، وتسخير السحاب بين السماء والأرض دونما ماسك له وسيره من مكان إلى مكان ، كل هذه الاستدلالات على وجود الله الخالق العظيم المدبر لهذا الكون ، تؤكد أن النظر والاستدلال العقلي واجب شرعي أوجبه الله تعالى بالنص القرآني وأن التقليد ليس طريقاً إلى تحصيل معرفة الله تعالى ووجوده وصفاته »[2] .

وننتقل مع الإمام فخر الدين من دليل إلى دليل آخر يؤكد به وجوب النظر في معرفة الله تعالى بآيات الكتاب المبين حيث أوامر الله عز وجل شأنه ، قال تعالى :

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٤ ، ص ١٧٩ .

﴿ أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ يُزجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الوَدقَ يَخرُجُ مِن خِلَٰلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرقِهِ يَذهَبُ بِالأَبصَٰرِ * يُقَلِّبُ اللهُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبرَةً لِأُولِي الأَبصَٰرِ ﴾ (١) .

ويرى الإمام فخر الدين أن الآيات الكريمة تثبت على جميع التقديرات أن وجه الاستدلال بهذه الأحوال المذكورة في السموات والأرض على قدرة الله تعالى وحكمته ظاهرين ، فقوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبرَةً لِأُولِي الأَبصَٰرِ ﴾ .

دلالة لمن يرجع إلى بصيرة في كل ما تقدم ذكره من الاستدلال بخلق الله على معرفته سبحانه وتعالى ، فيجب على المرء أن يتدبر ويتفكر في هذه الأمور ، كما يدل ذلك على فساد التقليد (٢) .

ودليل آخر يستدل به الإمام فخر الدين على وجوب النظر هو قوله جل ثناؤه :

﴿ أَوَ لَم يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ وَأَن عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهُم فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ يُؤمِنُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النور : آية : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٤ ، ص ١٤ .

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٨٥ .

فيقول الإمام الرازى في تفسير الآية وكيفية الاستدلال بها على وجوب النظر في معرفة الله تعالى: فاعلم أن دلائل ملكوت السموات والأرض الدالة على وجود الصانع الحكيم القدير كثيرة ... وأن الدلائل على توحيده جل وعلا غير مقصورة على السموات والأرض بل كل ذرة من ذرات عالم الأجسام والأرواح فهي برهان باهر ودليل قاهر على التوحيد فمن هذا تبين أن التقليد غير جائز ولا بد من النظر والاستدلال بدليل قوله تعالى :

﴿ أَوَ لَم يَنظُرُوا ﴾

وننتقل مع الإمام فخر الدين الرازي إلى دليل آخر يؤكد به ما يعتقده من وجوب النظر وأنه أمر إلهى .

قال تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ يُدَبِّرُ الأَمرَ مَامِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعدِ إِذنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم فَاعبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ إِلَيهِ مَرجِعُكُم جَمِيعاً وَعدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبدَؤُاْ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ بِالقِسطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُم شَرَابٌ مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكفُرُونَ ﴾[1].

فجاء في تفسير الآية أن الله تعالى بعد أن حكى عن الكفار أنهم يعجبون من الوحي والبعث والرسالة أثبت أمرين وهما :

---

(١) سورة يونس : آية (٣ ، ٤) .

١ - إثبات أن لهذا العالم إلهاً قاهراً قادراً نافذ الأمر .

٢ - إثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة .

فدلت الآية على نهاية العظمة وغاية الجلال وتمام القدرة بخلق الله للسموات والأرض في ستة أيام ، واستوائه على العرش وتدبيره للأمر ، فما من أمر من الأمور ولا حادث من الحوادث إلا بتقدير الله تعالى وتدبيره وقضائه وحكمته فهو مبدع جميع الممكنات وإليه تنتهي الحاجات وقوله تعالى :

﴿ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾

دليل صريح وواضح على وجوب التفكر والتدبر في تلك الدلائل القاهرة الباهرة والاستدلال بها على وجوده سبحانه ومعرفته ذاتاً ووصفاً كما أن ذلك دليل على أن التفكر في مخلوقات الله تعالى والاستدلال بها على جلاله وعزته وعظمته أعلى مراتب الإيمان وأكمل درجاته » .

وآية أخرى يؤكد بها الإمام فخر الدين وجوب النظر يقول جل ثناؤه :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللهُ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَـٰبِ ﴾[1].

ودلالة وجوب النظر في الآية يبينه سبحانه وتعالى بأن الهداية والفلاح مرتبطان بما إذا سمع الانسان أشياء كثيرة فإنه يختار منها ما هو

---

(١) سورة الزمر : آية :(١٨) .

الأحسن والأصوب ، ومن المعلوم أن تميز الأحسن والأصوب عما سواه لا يحصل بالسماع فقط لأن السماع صار قدراً مشتركاً بين الكل فقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَول ﴾

يدل على أن السماع قدر مشترك فيه فثبت أن تمييز الأحسن عما سواه لا يتأتى بالسماع وإنما بالحجة العقلية ، وهذا يدل على أن الموجب لاستحقاق المدح والثناء متابعة حجة العقل وبناء الأمر على النظر والاستدلال [1] .

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تأمر بالنظر والتفكر في كل ما يدل على وجود الله تعالى وقدرته وحكمته وعلمه وجميع صفاته . منها قوله تعالى :

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ أَم عَلَى قُلُوبٍ أَقفَالُهَا ﴾ [2] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَوَ لَم يَرَواْ أَنَّا نَأتِي الأَرضَ نَنقُصُهَا مِن أَطرَافِهَا وَاللَّه يَحكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [3] .

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢٦ ، ص ٢٦١ .

(٢) سورة محمد : آية : ٢٤ .

(٣) سورة الرعد : آية : ٤١ .

وقال جل شأنه :

﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيفَ رُفِعَت وإِلَى الجِبَالِ كَيفَ نُصِبَت ، وإِلَى الأَرضِ كَيفَ سُطِحَت ، فَذَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [١] .

وقال تباركت اسماؤه :

﴿ وَفِي الأَرضِ ءَايَاتٌ لِلمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنفُسِكُم أَفَلاَ تُبصِرُونَ ﴾ [٢] .

وذكر النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض وإبداعها في معرض الثناء والمدح كقوله تعالى :

﴿ أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرضِ ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعاً مُختَلِفاً أَلوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصفَرّاً ثُمَّ يَجعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكرَى لأُولِي الأَلبَابِ ﴾ [٣].

وقال تبارك وتعالى :

﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبرَةً لأُولِي الأَبصَارِ ﴾ [٤]

---

(١) سورة الغاشية : آية : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

(٢) سورة الذاريات : آية : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) سورة الزمر : آية : ٢١ .

(٤) سورة النور : آية ٤٤ .

وقال جل ثناؤه :

﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الأَلبَـٰبِ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ مَهـداً وَسَلَكَ لَكُم فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخرَجنَا بِهِ أَزوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ، كُلُواْ وَارعَواْ أَنعَـٰمَكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَـٰتٍ لأُوْلِي النُّهَى ﴾[2] .

وقال جل ثناؤه :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعنَـٰبَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَـٰتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾[3] .

كما أنه سبحانه وتعالى ذم المعرضين عن التفكر والنظر في آلاء الله تعالى بقوله جل ثناؤه :

---

(١) سورة ص : آية : ٢٩ .

(٢) سورة طه : آية : ٥٣ - ٥٤ .

(٣) سورة النحل : آية : ١٠ -١٢ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحيِ وَيُمِيتُ وَلَهُ إِختِلَـٰفُ ٱلَّيلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلاَ تَعقِلُونَ ﴾ [١].

وقوله تباركت أسماؤه وصفاته :

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللهِ ٱلصُّمُّ ٱلبُكمُ ٱلَّذِينَ لاَيَعقِلُونَ ﴾ [١].

فيرى الرازى أن ذلك يدل دلالة واضحة على وجوب النظر شرعاً وأن الله تعالى أمر به وامتدح فاعله وذم تاركه . كما أن رسول الهدى محمد ﷺ دعا إلى النظر والتفكر حتى فى أمور الدنيا ليؤكد بذلك وجوب النظر والاستدلال ويحثهم على العمل به ومن أحاديث الرسول ﷺ : ما روي عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال : « جاء رجل من بنى فزاره إلى النبى ﷺ فقال : إن امرأتي وضعت لي غلاماً أسود ، فقال له ﷺ هل لك من إبل قال الرجل : نعم ، قال ﷺ : ما لونها ؟ قال : حمر فقال ﷺ : فهل فيها من أورق ؟ قال : نعم قال : فأنى ذلك ؟ قال : عسى أن يكون قد نزعه عرق ، قال ﷺ : وهذا عسى أن يكون نزعة عرق » [٢].

فهذا دليل على وجوب النظر والاستدلال العقلي بالقياس مثل الحكم في أي أمر .

---

(١) سورة الأنفال : آية : ٢٢ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الطلاق : ج ٦ ، ص ١٧٨ .

وحديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالﷺ : « قال : قال تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ، وشتمني ابن آدم ولم يكن له أن يشتمني ، أما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي في إعادته ، وأما شتمه إياي فقول ، إتخذ الله ولدا ، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد »[1] . متفق عليه .

فانظر كيف احتج الله تعالى في المقام الأول بالقدرة على الابتداء علىالقدرة على الإعادة ، وفي المقام الثاني احتج بالأحدية على نفي الجسمية والوالديه والمولديه[2] .

وحديث ثالث يؤكد به الإمام فخر الدين الرازي وجوب النظر على المكلفين وهو ما روي عن عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » : فقالت عائشة يا رسول الله إنا نكره الموت فذاك كراهتنا لقاء الله ؟ فقال عليه السلام : لا ولكن المؤمن أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، والكافر كره لقاء الله فكره الله لقاءه »[3].متفق عليه .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، في باب بدء الخلق : ج ٤ ، ص ٧٣ .
وجاء فيه أن النبيﷺ قال :« أراه يقول الله شتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ، أما شتمه فقوله ان لي ولد ، واما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني » برواية أبي هريرة .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢ ، ص ٩١ .

(٣) الحديث جاء بروايات متعددة فرواه الإمام البخارى في صحيحه ، كتاب الرقاق ج ٧ ص ١٩١ ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر وادعاء : ج ١٧ ص ٩ ، ورواه النسائى فى فيمن أحب لقاء الله باب (ماجاء فيمن أحب لقاء الله) : ج ٤ ص ٩ ، ورواه الترمذى : ج ٤ ص ٣٨٧ .

فكل تلك الآيات وهذه الأحاديث تدل بوضوح على وجوب النظر والتفكر فى الدلائل وأننا مأمورون به [١] .

ولم يكتف الإمام فخر الدين الرازي بإيراد الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على وجوب النظر والإستدلال ، بل عمد إلى إيراد شبه المخالفين لمذهبه القائلين بعدم وجوب النظر والرد عليهم بالدليل العقلي والنقلي ، ومن هذه الشبه :

الشبهة الأولى :

الأمر بتحصيل المعرفة يتناول المكلف حال كونه عالماً بالله تعالى أو حال كونه غير عالم قلنا بل حال مالا يكون عالماً . وإذا لم يكن عالماً بالله تعالى لا يكون عالماً بأمره ، ومن شرط التكليف العلم بالأمر والآمر .

الجواب عن الشبهة الأولى :

يقول الإمام فخر الدين الرازي من الرد على هذه الشبهه :« لا نسلم بأن من شرط التكليف العلم بالأمر والآمر ، بل يكون الشرط في التمكن من العلم به ، وها هنا ألتمكن من العلم حاصل في الجملة لأنه إذا نظر وعرف الله تعالى فبعد حصول المعرفة بالله تعالى يعرف أنه كان مأمور بذلك وإذا كان كذلك كان هذا التمكن كافياً » [٢].

الشبهة الثانية :

إن سلمنا أنه يمكن أن تكون معرفة الله تعالى مأموراً بها فما الدليل على كونها مأموراً بها ، ولا نسلم إنعقاد الأجماع على الأمر بتحصيل المعرفة بل ندعى انعقاد الاجماع على ان ذلك غير مأمور به وأن الأمر ما ورد إلا بالأقرار والأعتقاد فقط وذلك :

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢) انظر نهاية العقول : ٢٠/ب .

١ - أن النبي ﷺ كان يحكم بإسلام من نطق بالشهادتين ، حتى الأعرابي الذي لا يفقه في التصور والإدراك يحكم بإسلامه لأحقية هذا الدين .

٢ - لم يخض النبي ﷺ في النظر والاستدلال على إثبات الصانع والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين لم يتكلموا فيه ومع ذلك إيمانهم أكمل وأتم .

٣ - أمر الرسول ﷺ الصحابة بعدم الخوض في القدر وعدم الجدال فيه .

كل ذلك يؤكد أن معرفة الله تعالى ليست واجبة التحصيل »[١] .

الجواب عن الشبهة الثانية :

يقول الإمام فخر الدين الرازي : لا نزاع بين الأمة أنه لا بد من الإقرار والاعتقاد بالدين سواء كان حقاً أو باطلاً . ومن أين لنا أن نعلم أن هذا الدين حق أو باطل ، فنؤمن به إن كان حقاً أو ننكره إن كان باطلاً ، إذن لا بد من تحصيل المعرفة بهذا الدين أولاً ثم الإقرار به والاعتقاد بصحته أو بطلانه ، وسيدنا محمد ﷺ ما كان يأمر بالإقرار بهذا الدين والاعتقاد به إلا لكون هذا الدين حقاً ، أما قولهم : « أن النبي ﷺ حكم بإسلام من نطق بالشهادتين »[٢].

فالجواب على ذلك :« أنه ثبت بالأدلة القاطعة أنه لا بد وأن يكون المكلف مميزاً بين الدين الحق والدين الباطل ، فيكون حكم النبي ﷺ بإسلام أولئك لأحد أمرين :

---

(١) نهاية العقول : ٢١/أ .

(٢) انظر المرجع السابق .

١ - أن يكون النبي ﷺ قد علم من ذلك الشخص كونه عالماً بأوائل الأدلة في هذه الأصول وذلك القدر كاف في حصول اليقين ولا يلزم من عدم اقتدارهم على التعبير عن تلك المعاني أن لا يكونوا عالمين بها » فالعامي إذا رأى تغير الهواء والرعد والبرق ، قال سبحان الله ، وذلك دليل على أنه يعتقد أن هذه الحوادث لما اختص حدوثها بالوقت المعين مع جواز ذلك قبله أو بعده أسند ذلك إلى فاعل مختار لا محالة فهذا المعنى إذا كان متقرراً في عقله كان عالماً بالله تعالى وبدليله ، ولا يضره عدم الاقتدار على بيان ذلك وشرحه .

٢ - أن يكون النبى ﷺ قد علم حال ذلك الشخص وأنه غير مستعد لفهم هذه الأشياء فيكون التكليف بذلك ساقطاً عنه لعدم القدرة عليه [١] . فيجوز التقليد مع عدم القدرة على النظر أما قول المخالفين : « إن النبي ﷺ والصحابة لم يخوضوا في النظر والاستدلال ... » فيجيب الإمام فخر الدين رداً على زعمهم :« إن جملة أصول الدين والأدلة التي يذكرها المتكلمون في إثبات الصانع والمعاد والنبوة ، مذكورة في القرآن الكريم ،

والرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين كانوا عالمين بتلك الاستدلالات على وجود الخالق القادر العظيم ، وإن قل الخوض فيها في زمانهم ، فذلك لأن الخصوم قليل فلا جرم أن استغنوا عن البسط في تقرير هذه الأدلة - لوجود الرسول ﷺ بينهم يعلمهم

---

(١) نهاية العقول : ٢١/أ .

ويخيرهم وحي السماء فيؤمنون به - أما في العصور المتأخرة فكثرت الشكوك والشبه ، فاحتجنا إلى مزيد البسط والشرح [١].

أما قولهم :« أن النبي ﷺ أمر الصحابة بعدم الخوض في الجدل في أمور القدر وأن هذا يعني عدم وجوب النظر لنهي النبي ﷺ ... »

فيرد الإمام الرازي على هذا القول : كيف ينهي الرسول ﷺ عن النظر وأكثر كتاب الله تعالى مشتمل على هذه الأدلة نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :

﴿ أَوَ لَم يَرَ الإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقنَـٰهُ مِن نُّطفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ قَالَ مَن يُحيِ العِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُل يُحيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنهُ تُوقِدُونَ [٢] ﴾ ... الخ السورة

فالله تعالى حكى إنكار المنكرين للاعادة في هذا الموضع مقروناً بحكاية شبههم ، وهي ان العظام التى صارت رميما متفتتة كيف تصير حية وهو المراد من قوله تعالى :

﴿ قَالَ مَن يُحيِ العِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾

ثم أنه تعالى لما حكى عنهم شبهتهم احتج على صحة الاعادة بقوله تعالى :

---

(١) انظر نهاية العقول : ٢١/أ .

(٢) سورة يـس : من آية (٧٧ ، ٨٣)

﴿ قُل يُحيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ ﴾
وهذا هو الذي عليه تعويل المتكلمين من الإعادة مثل الإيجاد وحكم الشيء حكم مثله فلما كان قادراً على الإيجاد وجب أن يكون قادرا على الإعادة » [١].

النظر يفيد العلم :

إن النظر الصحيح في اعتقاد الإمام فخرالدين لا يفضي إلى العلم اليقيني إلا إذا تمت شروطه وكملت أركانه وسلمت قواعده وأساساته من الفساد والزلل المفضي إلى الجهل لا محالة .

لذا بين الإمام فخر الدين القواعد الأساسية للنظر والاستدلال التي يحصل منها العلم ورتبها بما يفيد حصول العلم لزوماً . فقال : القواعد .

١ - العلم البديهي بالمقدمات الحاصلة في الذهن على الترتيب - بمعني أن يحصل البعض عقيب البعض في أزمنة متوالية ويكون البعض متعلقابالبعض على وجه يلزم من حصول تلك العلوم حصول العلم بشئ آخر .

٢ - العلم البديهي بصحة تلك المقدمات .

٣ - العلم البديهي بلزوم المطلوب عن تلك المقدمات المترتبة التي علمت صحتها وصحة ترتيبها بالضرورة .

---

(١) نهاية العقول : ٢١/أ .
(٢) المرجع السابق : ١٥٠/أ .

٤ - إن ماعلم لزومه عن الأمور التي علمت صحتها بالبداهة كان صحيحاً . فمرادنا بالنظر ذلك ، فكل عاقل يعلم ببداهة عقله ان من حصلت له هذه العلوم الاربعة فإنه لابد وأن يحصل له العلم بصحة المعلوم المطلوب .

فإذن لا بد في النظر من ترتيب المقدمات المعلومة بالضرورة ترتيباً سليماً يؤدى إلى العلم المطلوب .

فثبت أن من تصور حقيقة النظر الذي ندعيّ إفضاءه إلى العلم عَلِم بالضرورة كونه كذلك [١] .

فالنظر يفيد العلم لأن من حضر في ذهنه أن هذا العالم متغير وحضر أيضا في ذهنه أن كل متغير ممكن مجموع هذين العلمين يفيد العلم بأن العالم ممكن ، ولا معنى لقولنا النظر يفيد العلم إلا هذا [٢] ، وإفادة النظر للعلم لا تتوقف على العلم بدلالة الدليل على المدلول ولكنه يتوقف على العلم بوجه دلالة الدليل على المدلول ، وفرق بين نفس دلالة الدليل وبين وجه الدلالة . مثاله : « دلالة العالم على الصانع كونه بحال يلزم من ثبوته ثبوت الصانع وهذا أمر إضافي ، فالعلم به لا محالة مسبوق بالعلم بالمضافين وأما دلالته على الصانع فهو الإمكان والعلم به غير مسبوق بالعلم بالصانع بل يجب ان يترتب عليه العلم بالصانع وذلك لا يلزم منه محال » [٣].

---

(١) انظر : نهاية العقول : ١٥/ب .

(٢) انظر : معالم أصول الدين : ص ٢١ .

(٣) نهاية العقول : ١٧/ب .

ويوضح مذهبه في موضع آخر بقوله : « والحق أن هناك أمور ثلاثة :

(١) العلم بذات الدليل كالعلم بإمكان العالم .

(٢) والعلم بذات المدلول كالعلم بأنه لا بد له من مؤثر .

(٣) والعلم بكون الدليل دليلاً على المدلول .

أما العلم بذات الدليل فهو مغاير للعلم بذات المدلول ومستلزم له ، وأما العلم بكون الدليل دليلاً على المدلول فهو مغاير أيضاً للعلم بذات الدليل والمدلول لأنه علم بإضافة أمر إلى أمر والإضافة بين الشيئين مغايرة لهما فالعلم بها مغاير للعلم بهما .

ولا يجوز أن يكون المستلزم للعلم بالمدلول هو العلم بكون الدليل دليلاً عليه لأن العلم بإضافة أمر إلى أمر يتوقف على العلم بالمتضايفين ، فالعلم يكون الدليل دليلاً على المدلول يتوقف على العلم بوجود المدلول ، فلو كان العلم بوجود المدلول مستفاد من العلم بكون الدليل عليه لزم الدور وأنه محال » [١].

وقد إعترض على الإمام الفخر في إفادة النظر للعلم بأعتراضات كثيرة رد عليها إجمالاً وتفصيلاً نذكر بعضها لتأكيد رأيه وبيان مذهبه :

فأجاب على ما اعترضوا به إجمالاً بقوله :« إن هذه الكلمات التي ذكرتموها تارة في الاعتراض وتارة في الاستدلال ، هل أفادتكم علماً بفساد مذهبنا وصحة مذهبكم ؟ أم لا ؟ فإن أفادتكم بذلك فقد اعترفتم بأن النظر قد أفاد علماً في الجملة ، وذلك يناقض قولكم أنه

---

(١) المحصل : ص ٦٩ .

لا يفيد العلم أصلاً ، وإن لم يفدكم شيئاً فقد اعترفتم بسقوط كلامكم بالكلية »[١].

إما إبطاله لشبهة الخصوم في إفادة النظر للعلم على التفصيل فسأكتفي بذكر شبهه واحدةٍ والرد عليها خوفاً من الإطالة على القارئ وتكرار القول .

الشبهة الأولى :

قالوا إن العقلاء بأسرهم اتفقوا على أن تلك العلوم الضرورية لايجوز أن تفيد علماً نظرياً .

وذلك أن الأشعرية : اتفقوا على أن العلم النظري إنما يحصل بخلق الله تعالى وأنه لا تأثير للعلوم الضرورية فيها .

وأما المعتزلة : فقالوا : إن النظر جنس مغاير للعلم وهم زعموا أن المولد للعلم النظري ليس هو تلك العلوم الضرورية بل ذلك جنس آخر .

والفلاسفة : قالوا : الأنظار أسباب مُعدة لصيرورة النفس الناطقة مستعدة استعداداً تاماً لتلك العلوم فأما حصول تلك العلوم فإنما يكون من العقل الفعّال فثبت أن أحداً من أصحاب المذاهب لم يجعل العلم النظري معلول تلك العلوم الضرورية فيكون ما ذكرتموه على خلاف إجماع العقلاء فيكون باطلاً[٢].

---

(١) نهاية العقول : ١٦/ب .

(٢) انظر المرجع السابق : ١٥/ب .

جواب الإمام فخر الدين على هذه الشبهة :

بعدم التسليم لهذا الزعم لأن حصول العلم عقيب النظر بإجراء العادة هو قول أبي الحسن الأشعري فقط ، أما جمهور أصحابه فيقولون : بأن النظر الصحيح يتضمن العلم .

وفسروا التضمن بملازمة العلم النظري للنظر وفسروا النظر بالتردد في أنواع العلوم الضرورية والإمام الرازي يقول بهذه الملازمة .

أما أبو الحسين البصري وهو الرجل من المعتزلة ذهب إلى أن العلوم الضرورية توجب العلم النظري فثبت أن الذي اخترناه ليس على خلاف الجمهور [١].

---

(١) نهاية العقول : ١٧/أ .
وانظر المحصل ص ٦٦ .

المبحث الثانى :

النظر والاستدلال عند شيخ الإسلام ابن تيمية

المبحث الثاني

النظر والإستدلال عند شيخ الإسلام ابن تيميه

يرى شيخ الإسلام ابن تيميه أن النظر والإستدلال هو التفكر والتدبر في العلوم الضرورية الثابتة في القلب للوصول إلى العلم المطلوب بالنظر حيث يقول :

« لابد أن يكون عند الناظر من العلم المذكور الثابت في قلبه ما قد يحتاج حصوله إلى نظر ، فيكون ذلك المعلوم أصلاً وسبباً للتفكر الذي يطلب به معلوم آخر » .[1]

ولكي نصل إلى النظر الصحيح والتفكير السليم لابد وأن يكون على علم قاطع بالمقدمات الضرورية التي جعلناها وسيلة للتفكر الذي يطلب به علماً آخر على صدق النتيجة المطلوبة ، فلزم الدليل للمدلول من كمال صحة النظر وصدق النتيجة ، لذا يقول شيخ الإسلام :« الدليل لابد أن يكون ملزوماً للمدلول . وهذا اللزوم يحصل به الإستدلال بأي وجه حصل به اللزوم ، وكلما كان الملزوم أقوى وأتم وأظهر كانت الدلالة أقوى وأتم وأقوى وأظهر كالمخلوقات الدالة على الخالق سبحانه وتعالى فإنه ما من مخلوق إلا وهو ملزوم بخالقه ولا يمكن وجودة بدون وجود خالقه ، بل ولا بدون علمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته وكل مخلوق دال على ذلك »[2].

---

(١) الفتاوى ج ٤ ص ٣٩ ، وانظر نقض المنطق : ص ٣٥ .

(٢) الفتاوى ج ٩ ص ١٨٩ .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه أن النظر لفظ مجمل يدخل فيه الحق والباطل ، فالحق هو النظر الشرعي : وهو النظر فيما بعث به الرسول ﷺ من الآيات والهدى ، كما قال جل ثناؤه :

﴿ شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١].

وكان خيار الأمة المتبعون للرسول الهادي الأمين صلوات الله وسلامه عليه علماً وعملاً يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التى بعث الله بها رسوله الهادي الأمين صلوات الله وسلامه عليه وتدبر القرآن وما فيه من البيان والذكر الحكيم [٢].

والنظر نوعان :

أ – نظر في المسائل المطلوبة التي يراد الحكم عليها .

ب – نظر في الدلائل المثبتة لها المبرهنة على حقيقة الحكم عليها [٣] .

وفي موضع آخر يذكر شيخ الإسلام نوعي النظر فيقول :

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٨٥ .

(٢) النبوات ص ٤٧ .

(٣) طريق الوصول ص ١٤٤ .

« والنظر نوعان : أحدهما : النظر في المسألة التى هي القضية المطلوب حكمها ليطلب دليلها ، والذي هو الحد الأوسط مثلاً ، وهذا هو النظر الذي لا يجامع العلم ، بل يضاده ، لأن هذا الناظر طالب للعلم بها ، ولو كان عالماً بها لم يطلب العلم ، لأن ذلك تحصيل الحاصل .

والثاني : النظر في الدليل ، وهو العلم بالدليل المستلزم للعلم بالمدلول عليه ، وهو تصور الحد الأوسط المستلزم لثبوت الأكبر للأصغر [١] .

فمثلاً : من يعلم أن الخمر حرام وأن كل مسكر خمر ، فيلزم أن يعلم أن كل مسكر حرام .

وهذا النظر هو ترتيب المقدمتين في النفس وهذا النظر هو الذي يوجب العلم ولا ينافي العلم [٢].

فالنظر الأول : وهو النظر في الحكم : كالذي ينظر في مسألة لينال دليلها من القرآن والحديث .

والنظر الثاني : وهو النظر في الدليل : كالذي ينظر في القرآن والحديث ، فيعلم الحكم [٣].

---

(١) وليس هذا دليلاً على ان ابن تيمية يرى فائدة المنطق ، حيث يرى أن هذا من الشكل الأول الذى هو فطرى ، ولا يحتاج إلى علم المنطق لاستعماله ، والشكل الأول من القياس : هو ان يكون الانتقال منه من الأصغر إلى الأوسط إلى الأكبر ، لذا يكون بينا وبديهيا فى الانتاج .

(٢) الرد على المنطقين ص ٣٥٢ .

(٣) طريق الوصول إلى علم المأمول ص ٣٥٣ .

هذا وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز من الأدلة العقلية والتي يحتاج إليها للوصول إلى يقين العلم وصدق المعرفة ، ما لا يُقدر أحد من الناس قدره .

فالطريق الشرعي للنظر والاستدلال هو التفكر والتدبر فيما جاء به الرسول ﷺ والاستدلال بأدلته والعمل بموجبها ، فلابد من علم بما جاء به وعمل به ، فلا يكفي أحدهما دون الآخر ، فلا علم بلا عمل ولا عمل بدون علم . بل كل واحد منهما مكمل للآخر للوصول إلى تحقيق الهداية واليقين .

كما أن هذا الطريق الشرعي في النظر متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية .

فالناظر في مسألة ما يحتاج إلى أمرين أن يظفر بالدليل الهادي ، وأن يهتدي به وينتفع ، والدليل الهادي هو القرآن الكريم وهدى رسول الله ﷺ فإذا أراد النظر والاعتبار في الأدلة المطلقة من غير تعيين مطلوب ، فذلك النظر في كتاب الله تعالى وتدبره [١]. كما قال تعالى :

﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ، وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ ، وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [٢].

---

(١) انظر نقض المنطق ص ٣٣ .

(٢) سورة المائدة : آية (١٥ ، ١٦) .

أما النظر والإستدلال بالمفهوم المنطقي فقد يوصل إلي الحق واليقين وقد يوصل إلى الضلال والفساد يقول شيخ الإسلام :« لا نزاع أن المقدمتين إذا كانتا معلومتين ، وألفتا على الوجه المعتدل : أنه يفيد علماً بالنتيجة »[1].

أما إن أختل شرط من شروط صحة النظر بأن وقع في المادة أو الصورة باطل كان النظر الحاصل فاسداً باطلاً . وهذا ما يؤكده شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله :« إذا كان النظر في دليل مضل والناظر يعتقد صحته بأن تكون مقدمتاه أو احدهما متضمنة للباطل أو تكون المقدمات صحيحة لكن التأليف ليس بمستقيم ، فإنه يصير في القلب بذلك إعتقاد فاسد »[2] .

من هذا يتضح أن شيخ الإسلام ابن تيميه يشترط لصحة النظر شروط ويضع لها قواعد ، ولكن قد يعجز البعض عن تحقيقها لقصور في القائل وليس في الدليل ومن هذه الشروط وتلك القواعد :

أولاً : صحة المقدمات ويقينية دلالاتها .

ثانيا : ترتيب المقدمات ترتيباً سليماً يؤدي إلى الوصول إلى تلك المعرفة وتصديق التصور المعلوم . وفى موضع آخر يذكر شيخ الإسلام شرط آخر وهو هداية الله الناظر إلى الحق سواء كان بالنظر والإستدلال الشرعي أو العقلى فيقول « أما النظر في مسألة معينة وقضية معينة لطلب حكمها والتصديق بالحق فيها والعبد لا يعرف ما يدله على هذا أو هذا : فمجرد هذا النظر لا يفيد بل قد يقع له تصديقات يحسبها حقاً

---

(١) انظر نقض المنطق ص ٢٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ ، والفتاوى ج ٤ ص ٣٦ .

وهي باطلة وذلك من إلقاء الشيطان . وقد يقع له تصديقات تكون حقاً وهذا من إلقاء الملك ، وكذلك إذا كان النظر في الدليل الهادي وهو القرآن ، فقد يضع الكلم مواضعه ويفهم مقصود الدليل فيهتدي بالقرآن وقد لا يفهمه ، أو يحرف الكلم عن مواضعه فيضل به ، ويكون ذلك من الشيطان » (١).

قال تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ (٢).

وقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ، فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣) .

فالإنسان الذي يعقل الشئ ويقيده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه ، فيكون وقت الحاجة إليه عينياً فيطابق عمله وقوله وباطنه ظاهره وذلك هو الذي أوتي الحكمة .(٤)

---

(١) الفتاوى ج ٤ ص ٣٧ .
(٢) سورة الاسراء : آية : ٨٢ .
(٣) سورة التوبة : آية : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٤) الفتاوى ج ٩ ص ٣٠٩ .

قال جل ثناؤه :

﴿ يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُوْلُوا الأَلبَـٰبِ ﴾ [١].

ويذهب شيخ الإسلام أن أفادة الدليل لليقين ليست شكلية وإنما هي فيما يتضمنه الدليل من العلم القاطع لذا يقول : « إن إفادة الدليل لليقين أو الظن ليس لكونه على صورة أحدهما دون الآخر ، بل بإعتبار تضمن أحدهما لما يفيد اليقين ، فإن كان أحدهما أشتمل على أمر مستلزم للحكم يقيناً حصل به اليقين ، ،إن لم يشتمل إلا على ما يفيد الحكم ظناً لم يفد إلا الظن » [٢].

كما يرى رحمه الله أن جميع الأدلة عقلية لأن العقل إذا تصورها علم أنها تدل على المطلوب فمن يعقل دلالة الدليل يأتي بالنظر الصحيح ويستدل به متى كان الدليل مستلزماً للمدلول ، على ما يقصده الدال وهذا ما يبينه بقوله :« والأجود أن يقال جميع الأدلة عقلية لمعنى أن العقل إذا تصورها علم أنها تدل ، فإن الدليل هو مالا يكون النظر الصحيح فيه مقضياً إلى العلم بالمدلول عليه ، وإنما يكون النظر الصحيح فيه لمن يعقل دلاله الدليل ، فمن لم يعقل الدليل مستلزم للمدلول لم يستدل به ومن عقل ذلك إستدل به »[٣].

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٩ .

(٢) وقد قال ذلك شيخ الإسلام رداً على قول المنطقين ان قياس الشمول يفيد اليقين وقياس التمثيل يفيد الظن فرد عليهم بقوله : « ان اليقين يدور مع مادة القياس لا مع نوع القياس » . الفتاوى ج ٩ ص ١٩٩ .

(٣) انظر النبوات ص ١٢٠ .

كما بين شيخ الإسلام أن دلالة الدليل على قصد الدال أكمل وأدل وأتم من دلالته بمجرد كونه دليلاً فدلالة الكلام على مقصود المتكلم أحق بالدلالة وأكمل من جميع أنواع الأدلة على المراد ، ولبيان أنواع الأدلة وتقسيمها يقول شيخ الإسلام :« فإذا اريد تقسيمهاإلى عقلي ووضعي أي إلى عقلي مجرد وإلى وضعي يحتاج مع العقل إلى قصد من الدال فهو تقسيم صحيح ، فدال يعلم بمجرد العقل وهذا لا يحتاج مع العقل إلى السمع أو غيره وحينئذ إذا قيل في السمعيات أنها ليست عقليه أي لا يكفي فيها مجرد العقل بل لابد من انضمام السمع إليه وكذلك ذكر الرازى وغيره أن السمع المحض لا يدل ، بل لابد من العقل معه ، فهذا صحيح فإن العقل شرط في جميع العلوم التى تختص بالعقلاء ، والله أعلم »[١] .

ولزوم المدلول للدليل أصل العلم وسبب المعرفة ، فإنه متى استحضر الشخص في ذهنه لزوم المدلول للدليل علم بهذا أن الدليل دال على المدلول ، وقد يكون التلازم واضحاً جلياً فلا يحتاج إلا لمقدمة واحدة وقد تكون خافية على البعض فيحتاج لبيانها إلى وسائط تبين وجه دلالة الدليل على المدلول ، فمن هذا يتبين لنا أنه يمكن الاستدلال على المطلوب بمقدمة واحدة أو أكثر وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام بقوله :« الدليل : هو ما كان مستلزما للمدلول فالعلة المستلزمة للمعلول يمكن الاستدلال بها ، والوسط الذي يلزم الملزوم ويلزمه اللازم البعيد هو

---

(١) انظر النبوات ص ١٢١ .

مستلزم لذلك اللازم فيمكن الاستدلال به ، فتبين أنه على هذا التقدير يمكن الاستدلال على المطلوب بمقدمة واحدة أذا لم يحتاج إلى غيرها وقد لا يمكن الاستدلال إلا بمقدمات فيحتاج إلى معرفتهن»[١].

ومعرفة الله تعالى - وهي أول الواجبات - يمكن حصولها بالشرع فلأن الشرع قد بين الطرق العقلية التي بها يعرف الخالق سبحانه وتعالى فتكون عقلية شرعية ، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام وأكده الدليل حيث قال :« إذا كان الشئ موجوداً في الشرع ، فذلك يحصل بأن يكون في القرآن الدلالة على الطرق العقلية والتنبيه عليها والبيان لها والارشاد إليها ، والقرآن الكريم مملوء من ذلك ، فتكون شرعية بمعنى أن الشرع هدى إليها عقلية بمعنى أنه يعرف صحتها بالعقل ، فقد جمعت الأدلة الهادية في القرآن الكريم وصفي الكمال »[٢].

قال تعالى :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ ﴾ [٣].

فمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد وغيرها ، بيّنها الله ورسوله بياناً شافياً شاملاً بالنصوص النقلية والدلائل العقلية .

---

(١) الفتاوى ج ٩ ص ١٨٣ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ج ٩ ص ٣٩ .

(٣) سورة الرعد : آية ١٩ .

النظر وحكمه عند شيخ الإسلام :

يذهب شيخ الإسلام ابن تيميه إلى القول بالوجوب المقيد فهو ليس مطلقاً على كل أحد وفي كل الأمور بل النظر فرض كفايه على خواص المسلمين من العلماء في الأصول والفروع في حدود الكتاب الكريم والسنة المطهرة أما ما زاد عن ذلك فليس بواجب وإن كان صحيحاً.يقول شيخ الإسلام : « يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً مجملاً عاماً ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به على التفصيل فرض كفايه ، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ، وداخل في تدبر القرآن وعلم الكتاب والحكمة ، وحفظ الدعوه إلى سبيل الله والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم ، أما ما وجب على أعيانهم فهو في الأصول التعيينية ويختلف باختلاف قدراتهم العقلية وعلى حسب ما يدركونه من الاستدلالات على معرفة الله تعالى ووجوده وقدرته وعلمه إلى غير ذلك من الأصول »[1].

ويرى شيخ الإسلام أن ما أوجبه الله تعالى من العلم على الخلق فهو واجب كقوله تعالى :

﴿ فَاعلَمَ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلا الله ﴾[2]

وقال جل ثناؤه

﴿ أعلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[3] .

---

(١) انظر طريق الوصول ص ٤٤ .

(٢) سورة محمد : آية : ١٩ .

(٣) سورة المائدة : آية ٩٨ .

وأيضاً ما أوجبه الله تعالى من الإيمان فهو واجب على الجميع كل بحسب قدرته واستطاعته وهذا ما قررته الشريعة من أن الوجوب معلق باستطاعة العبد فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه مايجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لايجب على من لم يسمعها ، ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لايجب على من ليس كذلك » [١] .

ويبين شيخ الإسلام ابن تيميه وجوب النظر وأنه من أوامر الشرع التي تحقق الهداية واليقين فيقول :« أما النظر المفيد للعلم فهو ما كان دليل هاد - وهو كتاب الله تعالى وسنة نبيه - فإن الذي جاءت به الشريعة من نوعي النظر هو ما يفيد وينفع ويحصل الهدى به ، وهو بذكر الله وما نزل من الحق »[٢] .

فوجوب النظر في الشرع يكون بكل ما يحصل به الإيمان واليقين بالله تعالى وليس عليه أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قول غالب على ظنه لعجزه عن تمام اليقين ، بل ذلك هو الذي يقدر عليه لا سيما إذا كان مطابقاً للحق ،فالإعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط عنه الفرض إذا لم يقدر على أكثر منه .[٣]

---

(١) موافقة صحيح المنقول ج ١ ص ٦٠ .
وانظر طريق الوصول ص ٤٤ .

(٢) الفتاوى ج ٤ ص ٣٨ .

(٣) موافقة صحيح المنقول ج ١ ص ٦٠ .
وانظر طريق الوصول ص ٤٤ .

أما من ترك النظر والاستدلال الذي جاء به رسول الله ﷺ لمعرفة الله جل شأنه فقد ضل ضلالاً بعيداً وهذا ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال :« فكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال تعالى :

﴿ قَالَ إهبِطَا مِنهَا جَمِيعاً بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ • فَإِمَّا يَأتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدى فَمَنِ إتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلا يَشقَى • وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ، وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيَـٰمَةِ أَعمَى ﴾ [1].

فمن أعرض عن ما جاء به القرآن إتباعاً لهوى أو ارتاب فيما جاء به الرسول ﷺ أو كذب به ، وإن كان من العلماء المجتهدين أو العقلاء المجادلين فقد حكم الله تعالى عليه بالضلال والعذاب ووصفهم بنعوت الكفار والمنافقين .

قال جل ثناؤه :

﴿ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِي ءَايَـٰتِ اللهِ بِغَيرِ سُلطَـٰنٍ أَتَـٰهُم كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ ، كَذَٰلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [2] .

وقال جل ثناؤه :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ العِلمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَستَهزِءُونَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة طه : آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) سورة غافر : آية : ٣٥ .

(٣) سورة غافر : آية :٨٣ .

النظر والإستدلال يفيد العلم :

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية ان النظر والاستدلال والتفكر يفيد العلم متى كان النظر في دليل يفيده العلم بالمدلول عليه ، كما أنه لابد أن يكون عند الناظر علم بديهى ثابت في قلبه يكون أصلا وسببا في الوصول إلى نظر وتفكر يؤدى إلى علم صحيح قاطع ، ويجب أن يكون العلم الثابت في القلب صحيحاً سليماً ، ولايتحقق ذلك إلا بالإيمان بالله الهادى إلى الحق والصواب .

وأول الأسباب الهادية وأجلها هو ذكر الله تعالى وسؤاله الهداية إلى العلم « فالعبد مفتقر إلى ما يسأله من العلم والهدى ، طالب سائل فبذكر الله والأفتقار إليه يهديه الله ويدله [١] كما قال جل ثناؤه في الحديث القدسي :« يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم »[٢].

فالله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويوفقه للأسباب التى يدرك بها العلم والإيمان . أما الدليل الهادي على العموم والاطلاق فهو ما جاء به سيد الخلق محمد ﷺ - كتاب الله وسنته - فالقرآن يعطي العلم المفصل ويزيد الإيمان ، لأن في القرآن الكريم من الحجج العقلية والبراهين اليقينية ما يفيد بالنظر والاستدلال فيه علماً قاطعاً في أصول الدين كمسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث

---

(١) انظر نقض المنطق ص ٣٤ .

(٢) حديث قدسي رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب : ج ١٦ ص ١٣٢ .

ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : ج ٥ ص ١٥٤ ، ١٦٠ .

العالم ، وكل ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الدلائل العقلية والبراهين المنطقية الصحيحة الموصلة إلى العلم اليقيني ، قد ذكرها القرآن العظيم بأجود عبارة وأبلغ بيان .

فدلالة القرآن سمعية عقلية قطعية يقينية سالمة من معارضات الشيطان فلا تعتريها الشبهات ولا تطرق إليها الاحتمالات ، فالنظر الصحيح الموصل إلى العلم هو ما كان معلوم حق - وهو الله سبحانه وتعالى - وبدليل حق - وهو ما جاء في كتاب الله تعالى من الدلائل الشرعية العقليه وما جاء في هدي خير العباد ﷺ . ولم يكن بيان الرسول ﷺ مقتصراً على الخبر المجرد فقط بل قد بين للناس الأدلة التي بها تعلم المطالب الإلهية بالنظر والاستدلال وأخبرهم مع ذلك من تفاصيل الغيب ما يعجزون عن معرفته بمجرد النظر والاستدلال .

كما بين شيخ الإسلام أن صحة النظر والاستدلال الموصل إلى العلم أو الاعتقاد الراجح مبني على تلازم الدليل ومدلوله فالحقيقة المعتبرة في كل برهان أو دليل في العالم هو اللزوم ، فلا بد أن يكون العلم بالدليل مستلزماً للعلم بالمدلوله ، لذا يقول رحمه الله تعالى : « الضابط في الدليل أن يكون مستلزماً للمدلول ، فكلما كان مستلزماً لغيره أمكن أن يستدل به عليه ، إن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر فيستدل المستدل بما علمه منهما على الآخر الذي لا يعلمه ثم أن كان اللزوم قطعياً كان الدليل قطعياً كدلالة المخلوقات على خالقها سبحانه وتعالي ودلالتها على علمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته فإن وجود المخلوق يستلزم وجود الخالق بكل الكمالات »[1] .

---

(١) الرد على المنطقين ص ١٦٥ .

ويرى شيخ الإسلام أن إفادة النظر للعلم ليست في كل الأحوال وفي كل العلوم ، بل هناك نظر يضاد العلم فيقول :« لكن النظر الذي يستلزم العلم غير النظر الذي يضاده فالنظر الذي يستلزم العلم هو النظر الاستدلالي وهو النظر في الدليل : فإذا تصور الدليل وتصور استلزامه للحكم علم الحكم .

والنظر الذي يضاد العلم هو النظر الطلبي ، وهو نظر في المطلوب حكمه هل يظفر بدليل يدله على حكمه أو لا يظفر ؟ كطالب الضالة والمقصود قد يجده وقد لا يجده وقد يعرض عنهما ، فإن الأول انتقال من المبادئ إلى المطالب والآخر انتقال من المطالب إلى المبادئ [1] .

---

(١) انظر الرد على المنطقين ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازي في النظر والاستدلال واحكامه

المبحث الثالث

موقف شيخ الإسلام ابن تيميه من الإمام الرازي في النظر والاستدلال واحكامه

يرى شيخ الإسلام ابن تيميه أن النظر والاستدلال بالمفهوم المنطقي الذي قال به الفلاسفة والمتكلمون هو بدعة يؤدي إلى استدلالات باطله في معظم نتائجها .

كما أن إدخال المنطق في العلوم الصحيحة يطول العبارة ويبعد الإشارة ويجعل القريب من العلم بعيداً واليسير منه عسيراً ، ولا يفيد إلا كثرة الكلام والتشقيق مع قلة العلم والتحقيق (١).

أما النظر والاستدلال الشرعي والذي أمر الله تعالى به المؤمنين ودعا إليه رسول الهدى ﷺ المتضمن للأدلة العقلية والبراهين القطعية فهو الصراط المستقيم الموصل للحق المبين والهدى واليقين .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) انظر : طريق الوصول ص ٨٤ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٥٢ .

ولمزيد إيضاح لطريق الهدى والصلاح والبعد عن طريق الزيغ والضلال ، يبين شيخ الإسلام طريق الحق ويرشد إليه ، وطريق البدع ويحذر منها ، وينكر على من يوجبها على الخاصة والعامة ، وكيف يأخذ علماء المسلمين من أهل الضلال علماً ، وفي كتاب الله العزيز ما يغني عن كل علم لا يستمد أصوله وقواعده منه .

يقول شيخ الإسلام لمن جعل النظر والاستدلال بالمفهوم المنطقي ، أول الواجبات على المكلف :« هو نظر واستدلال مبتدع ، وليس هو المشروع لا خبراً ولا أمراً وهو استدلال فاسد لايوصل إلى العلم . فجعلوا أصل العلم بالخالق هو الاستدلال على ذلك بحدوث الاجسام الاستدلال على حدوث الاجسام بأنها مستلزمة للاعراض فلا يخلو عنها ولاينفك منها ثم استدلوا على حدوث الاعراض ، قالوا فثبت أن الاجسام مستلزمة للحوادث لا يخلو عنها فلا تكون مثلها ، ثم كثير منهم قالوا : مالم يخل من الحوادث أو مالم يسبق الحوادث فهو حادث وظن أن هذه مقدمة بديهية معلومة بالضرورة لايطلب عليها دليل وكان ذلك بسبب أن لفظ الحوادث يشعر بأن لها ابتداء كالحادث المعين والحوادث المحدودة [1]. وهذا الاستدلال وإن أوصلهم إلى إثبات وجود واجب الوجود الا أنه يلزمهم القول بتعطيل بعض الصفات الالهية ، لأن الحوادث على مذهبهم لها أول .

وصفات الباري جل ثناؤه كالخلق والكلام والإرادة وغيره من صفات الأفعال قديمة لا أول لها وفعلها وأفرادها الحادثة أيضا لا أول

(١) النبوات ص ٣٩ .

لهـا ، وهـي حسـب مفهـومهـم من جنس الحوادث مثـل القـول مـازال متكلمـاً ، ومازال الله مريداً ، ومازال الله تعالى قادراً على أن يفعل .

يقول شيخ الإسلام :« هناك فرق بين جنس الحوادث وبين الحوادث المحدودة ، فالجنس مثل أن يقال : مازالت الحوادث توجد شيئـاً بعـد شئ ، أو مـازال جنسهـا موجوداً ، والحوادث المحدوده هي التى لهـا ابتداء وانتهاء » (١) .

كمـا يرى شيخ الإسلام أن حصر المناطقة حصول العلم ببراهينهم المنطقية بقياس الشمول والذي لا بد فيه من قضية كلية موجبة قـول باطـل ، لأنه يمكن حصول العلم بالبرهان المنطقي وبغيره ، كمـا أن إدعاءهم هذا يؤدي إلى إنكار العلم بالقضايا السالبة والقضايا الجزئية بأي شكل كان وعلى أي صورة حصل ، ولهذا قالوا أنه لا نتاج عن قضيتين سالبتين ولا جزئيتين في شئ من أنواع القيـاس لا بحسب صورتـه - كالحملي والشرطي: المتصل والمنفصل - ولا بحسب مادته لا البرهانى ولا الخطابي والا الجدلي ، بل ولا الشعري(٢) ولهذا يبطل شيخ الإسلام قولهم هذا بقوله : « إذا كان لابد في كل ما يسمونه برهاناً من قضية كلية ، فلابد من العلم بكونها كلية ، وإلا لم يحصل العلم بها إن كانت جزئية أو كانت قضايا مهملة أو مطلقة والتى يحتمل لفظها أن تكون كلية أو جزئية ، والمهـملة تكون في قوة الجزئية لأن الحكم فيـهـا على البعض محقق وعلى الكل مشكوك فيه ، فنأخذ المتيقـن ونترك ما

---

(١) انظر النبوات ص ٣٩ ، ٤١ .

(٢) انظر الفتاوى جـ ٩ ص ١٠٥ .

يؤدي إلى الشك ، فإذا كان لابد في العلم الحاصل بالقياس الذي يخصونه باسم البرهان من العلم بقضية كلية موجبة ، فيقال أنهم أهل العلم بتلك القضية بديهياً أو نظرياً ، فإن كان بديهياً لزم أن يكون كل واحد من أفرادها بديهياً بطريق الأولى ، وإن كان نظرياً احتاج إلى العلم البديهي فيفضي إلى الدور المعي(١) . أو التسلسل في المؤثرات (٢) وكلاهما باطل » (٣) .

ويؤكد شيخ الإسلام أن كثيراً من القضايا الكلية - كالواحد نصف الاثنين ، والكل أعظم من الجزء والضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان - يمكن الاستغناء عنها والوصول إلى النتيجة المطلوبة من البرهان بغيرها بقوله :« فما من قضية من القضايا الكلية تجعل مقدمة في البرهان إلا والعلم بالنتيجة ممكن بدون توسط ذلك البرهان »(٤) .

فمثلاً : هذان النقيضان من تصورهما نقيضين فإنه يعلم أنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان فكل أحد يعلم أن هذا المعين لا يكون موجوداً معدوماً ، ولا يخلو من ألوجود والعدم كما يعلم المعين الآخر ، ولا يحتاج ذلك إلى أن يستدل عليه بأن كل شئ لا يكون موجوداً معدوماً (٥) .

---

(١) الدور المعي : إذا توقف علم الإنسان على علم منه ، أو علم منه على علمٍ ، فعلمه له مبدأ لأنه نفسه له مبدأ ، مثال : صفات الرب لا تكون إلا مع ذاته / وذاته لا تكون إلا مع صفاته .

(٢) التسلسل فى المؤثرات : هو التسلسل فى أمور لها مبدأ محدد .

(٣) الفتاوى : ج ٩ ص ١٠٦ .

(٤) المرجع السابق ، والرد على المنطقين : ج ١ ص ١٠٨ .

(٥) الرد على المنطقين : ج ١ ص ١٠٨ ، والفتاوى : ج ٩ ص ١٠٧ .

فإن العلم بالقضية الكلية يفيد العلم بالمقدمة الكبرى المشتملة على الحد الأكبر وذلك لايغني دون العلم بالمقدمة الصغرى المشتملة على الحد الأصغر ، والعلم بالنتيجة الحاصلة – والتي هي أن هذين المعينين ضدان فلا يجتمعان يمكن الوصول إليها بدون العلم بالمقدمة الكبرى والتى هي أن كل ضدين لا يجتمعان ، فلا يفتقر العلم بذلك إلى القياس الذي خصوه باسم البرهان »[١] .

فكل معلوم مطلوب بالنظر يمكن معرفة صحته بالقياس البرهاني ، ويمكن معرفته بدون ذلك القياس .

وهذا ما نراه من اختلاف استدلال العقلاء على المطلوب الواحد فقد يحتاج إلى مقدمة واحدة ، وقد يحتاج إلى مقدمتين أو أكثر كل حسب حاجته وقدرته في الوصول إلى العلم المطلوب حتى أهل المنطق أنفسهم قد يستغنون عن القضايا الكلية بالمعينات ، فإننا نجدهم إذا طلب منهم حصول علم بمقدمتين في غير العلوم الالهية ، فإنهم يستدلون بالمعينات للوصول إلى العلم المطلوب دون أن يحتاجوا في ذلك إلى القضية الكلية فلا يكون العلم بها موقوفاً على البرهان ، والقضايا النبوية لا تحتاج إلى القياس العقلي – البرهان – وما يستفاد بالعقل من العلوم أيضاً لا يحتاج قياسهم البرهاني فيمكن حصول العلم في السمعيات والعقليات بدونه[٢] .

---

(١) الرد على المنطقين ج ١ ص ١٠٩ .
(٢) انظر : الفتاوى : ج ٩ ص ١١٢ .

ومما يؤكد به شيخ الإسلام استدلاله على بطلان حصرهم العلم بالبرهان المشتمل على القضية الكلية الموجبة هو أن القضايا الحسيه لا تكون الا جزئية فيقول :« نحن لم ندرك بالحس الا إحراق هذه النار ، وهذه النار ، ولم ندرك أن كل نار محرقة ، فإذا جعلنا هذه قضية كلية وقلنا كل نار محرقة لم يكن لنا طريق نعلم به صدق هذه القضية الكلية علماً يقينياً ، إلا والعلم بذلك ممكن في الأعيان المعنية بطريق الأولى »[1] .

وهذا ما ذهب إليه الإمام الرازي يقول : وأما الكليات فالحس لا يعطيها البته » أي لا يمكن الحكم به على كونها كلياً .

أما قول الإمام الرازي وغيره من متأخري أهل الكلام : « إن العقليات ليس فيها قياس ، وإنما القياس في الشرعيات . والاعتماد في العقليات على الدليل الدال على ذلك مطلقاً »[2] .

فيرد شيخ الإسلام عليه بقوله : « إن هذا مخالف لسائر نظار المسلمين لأن القياس يستدل به في العقليات كما يستدل به في الشرعيات فإنه إذا ثبت أن الوصف المشترك مستلزم للحكم كان هذا دليلاً في جميع العلوم كذلك إذا ثبت أنه ليس بين الفرع والأصل فرق مؤثر كان هذا دليلاً في جميع العلوم »[3] .

ونجد أن العقلاء من أهل المنطق قد اختلفوا في طرق استدلالاتهم بالقضية الكلية وفي أي العلوم تكون ، وهذا مما يؤيد رأي شيخ الإسلام

---

(١) الفتاوى ج ٩ ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) المحصل : ص ٣٨ .

(٣) الفتاوى : ج ٩ ص ١١٧ - ١١٨ .

من أن حصول العلم يكون بقياساتهم المنطقية وبغيرها ، فمن أهل المنطق من يقول بقياس الغائب على الشاهد إذا كان المشترك مستلزماً للحكم ، كما يمثلون به ويخالفهم آخرون في القول به لأنه لم يثبت عندهم الحكم في الغائب لأجل ثبوته في الشاهد بل نفس القضية الكلية كافية في المقصود من غير احتياج إلى التمثيل ، فيقال لهم وكذلك في الشرعيات [١]

كما يستدل شيخ الإسلام على صحة القياس وصحة الدليل بقوله :« أنه متى قام الدليل على أن الحكم معلق بالوصف الجامع لم يحتج إلى الأصل بل نفس الدليل الدال على أن الحكم معلق بالوصف كاف لكن لما كان هذا كلياً ، والكلي لا يوجد إلا معيناً كان يقين الأصل مما يعلم به تحقق هذا الكلي ، وهذا أمر نافع في الشرعيات والعقليات » [٢].

فزعمهم أن البرهان لا يفيد إلا العلم بالكليات ، والكليات إنما تتحقق في الأذهان لا في الأعيان ، وليس في الخارج إلا موجود معين لهذا لا يمكن أن يعلم ببراهينهم المنطقية المتضمنة للقضايا الكلية شئ من المعينات فلا يعلم به موجود أصلاً ، بل إنما يعلم به أمور مقدرة في الأذهان ، وهذا ليس علماً تكمل به النفس إذا لم تعلم شيئاً من الموجودات ، ولا صارت عالمة بالمعقولات المطابقة للموجودات ، بل صارت عالمه لأمور كلية مقدرة لايعلم بها شيء من العالم الموجود ، وأي خير في هذا فضلاً عن أن يكون كمالاً [٣] .

---

(١) انظر : الفتاوى : ج ٩ ص ١١٨ .

(٢) المرجع السابق . وانظر : الرد على المنطقين : ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) انظر : الرد على المنطقين : ج ١ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

أما ماذكره الإمام الرازي من كون النظر والاستدلال لابد فيه من مقدمتين حيث يقول :« لا معنى لفكرة إلا ما حضر في الذهن من التصديقين المستلزمين للتصديق الثالث »[١].

فشيخ الإسلام يبطل هذا الحصر في مقدمتين فهو يرى أنه يمكن حصول العلم المطلوب بمقدمة واحدة أو مقدمتين أو أكثر ويختلف من شخص لآخر حسب قدرته العقلية وحسب علمه ونبوغه فمن الناس من لا يحتاج إلا لمقدمة واحدة ومنهم إلى أكثر حتى يصل إلى المطلوب ومنهم من لا يحتاج إلى الاستدلال بكل ذلك بل يعلمه بالضرورة فتخصيص الاستدلال بمقدمتين لا يكون إلا في ما يذكر ، أما العقل فلا يحتاج إلا لثبوت الحكم أو انتفائه لذا يقول شيخ الإسلام : « أما المطلوب الذي لايزيد على جزءين فذاك في المنطوق به ، والمطلوب في العقل إنما هو شئ واحد لا إثنان ، وهو ثبوت النسبة الحكمية أو انتفاؤها . وإن شئت قلت إتصاف الموصوف نفياً وإثباتاً ، وأمثال ذلك من العبارات الدالة على المعنى الواحد المقصود بالقضية فإذا كانت النتيجة أن النبيذ حرام أو ليس بحرام أو الإنسان حساس أو ليس بحساس ونحو ذلك . فالمطلوب ثبوت التحريم للنبيذ أو انتفاؤه وكذلك ثبوت الحس للإنسان أو انتفاؤه والمقدمة الواحده إذا ناسبت ذلك المطلوب حصل بها المقصود ، وقولنا النبيذ خمر يناسب المطلوب ، وكذلك قولنا الإنسان حيوان .

---

(١) المحصل ص ٥٦

وهذا ما أجمع عليه نظار المسلمين من أن الدليل قد يتوقف على مقدمة تارة وقد يتوقف على مقدمتين تارة ، وعلى ثلاثة تارة أخرى وعلى أكثر من ذلك فما كان من المقدمات معلوماً لم يحتج أن يستدل عليه وإنما يستدل على المجهول . والمطلوب المجهول بعلم بدليله ودليله ما استلزمه . وكل ملزوم فإنه يصح الاستدلال به على لازمه ، وحينئذ فإذا كان المطلوب ملزوم يعلم لزومه له استدل عليه به ، وكفى بذلك ، وإن لم يكن المستدل يعلم الا ملزوم ملزومه احتاج إلى مقدمتين وإن لم يعلم إلا ملزوم ملزوم لزومه احتاج إلى ثلاث » [١] .

وإختلاف أهل المنطق أنفسهم في تقدير حصول العلم بمقدمتين أو أكثر يؤكد عدم صحة حصرهم العلم بمقدمتين للوصول إلى النتيجة المطلوبه .

يقول ابن سينا في أحد كتبه : « وأما إذا كانا معلومين على الأفتراق ، ولم يقترنا بعد أو لم يخطرا بالبال معاً ،موجهين نحو النتيجة فليسا علة بالفعل ولا يلزم معلولها وهو العلم بالنتيجة بالفعل مثل أن يكون إنسان يعلم أن كل بغله عاقر علما على حده ، ويعلم أيضاً أن هذا الحيوان بغله ، ويراه فتنفخ البطن فيظن أنه حامل ولو أقترن عنده العلمان لما كان يظن هذا الظن وقد يمكن أن يتناقض الفكر والوهم ، فإن الوهم يقع للحس فكل خالف المحسوس فإن الوهم إما أن يمنع وجودة وأما أن يجعل وجوده على نحو وجود المحسوسات » [٢] .

ويرى شيخ الإسلام أن أصل الأضطراب يفهم دعواهم أن النتائج النظرية تحتاج إلى مقدمتين ، وتكفي فيها مقدمتان فجعلوا لابد في

---

(١) انظر الرد على المنطقين ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) النجاة ، القسم الأول ص (٥٧ - ٥٨) .

كل مطلوب نظري من مقدمتين ، وادعوا أنه يكفي في كل مطلوب نظري مقدمتان وكلا الأمرين باطل لأن العلم يحصل بالعلم بالدليل لمن لم يكن عالماً به قط ، ولمن يذكره بعد نسيان إذا كان قد علمه ثم نسيه ولهذا قال جل شأنه :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (٢) .

فبين سبحانه أن آياته تبصرة وتذكرة فالتبصرة بعد العمى وهو الجهل ، والتذكرة بعد النسيان وهو ضد العلم . فالمدلول لازم للدليل فمتى تصور الإنسان الدليل ولزوم المدلول له ، أمكنه تصور المدلول فإذا تصور أنها بغله وتصور لازم ذلك وهو نفي الحمل عن البغلة تصور قطعياً نفيه عن هذه البغله الحمل لأنتفاخ بطنها فأما مجرد الدليل بدون تصور لزوم المدلول له فلا يحصل به العلم ، واللوازم الواضح لزومها للدليل تعلم بمجرد العلم بالدليل وبلزومها له ، واللوازم الخفية التي يفتقر العلم بلزومها إلى وسط وهو دليل ثان على اللزوم يقف على ذلك ، والأذهان في هذا متفاوته ، فقد يحتاج هذا الذهن في معرفة اللزوم إلى وسط وهو الدليل والآخر لا يحتاج إليه .

فثبت من ذلك كله أن الطالب للعلم بالنظر قد يحتاج إلى مقدمة واحدة أو أثنين أو أكثر .

---

(١) المحصل ص ٦٨ .

(٢) سورة ق : آية : (٦ ، ٧ ، ٨) .

أما احتجاج الإمام الرازى باستدلال الخليل عليه السلام لوجوب النظر وجعل الأفوال هو بمعنى التغير الذي يؤكد حدوثها فيرد عليه شيخ الإسلام هذا القول ويبطل الاحتاج به بقوله : « لا نسلم ان الأفوال هو التغير ... وان هذا خلاف اجماع أهل اللغة والتفسير بل خلاف ماعلم من بالاضطرار من الدين ... فإن الأفول : هو المغيب يقال : أفلت الشمس تأفُل وتأفِل أفولاً إذا غابت ، ولم يقل أحد قط أنه هو التغير ولا أن الشمس إذا تغير لونها يقال أنها أفلت ، ولا إذا كانت متحركة في السماء يقال : انها أفلت ، وهذا القول من أعظم الأقوال افتراءٍ على الله ، وعلى خليل الله ، وعلى كلام الله عز وجل ، وعلى رسوله ﷺ المبلغ عن الأمة .

فقصة الخليل عليه السلام حجة عليكم فانه رأى كوكباً فتحرك إلى الغروب فتحرك ، ولم يجعله أفلاً ، ولما رأى القمر بازغاً رآه متحركاً ولم يجعله آفلاً ، فلما رأى الشمس بازغة علم أنها متحركة ولم يجعلها أفلة .

وإن كان التغير أخص من التحرك على أحد الاصطلاحين : فإن لفظ الحركة قد يراد بها الحركة المكانية ، وهذه لا تستلزم التغير ، وقد يراد به أعم من ذلك كالحركة في الكيف والكم ، مثل حركة النبات بالنمو ، وحركة النفس بالمحبة والرضا والغضب والذكر .

فهذه الحركة قد يعبر عنها بالتغير ، وقد يراد بالتغير في بعض المواضع الاستحالة فالاحتجاج بلفظ الغير إن كان سمعياً فالأفول ليس هو التغير ، وإن كان عقلياً فإن اريد بالتغير الذي يمتنع على الرب محل النزاع لم يحتج به ، وإن اريد به مواقع الاجماع فلا منازعة فيه » [1] .

---

(١) الاسماء والصفات : ج ١ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

ooooo

الفصل الثاني

الاستدلال على وجود الله تعالى

المبحث الأول :

مذهب الإمام الرازي في الاستدلال على وجود الله تعالى

المبحث الثاني :

مذهب شيخ الإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي

ooooo

الفصل الثاني

الاستدلال على وجود الله

تمهيد

ذهب العلماء والحكماء في إثبات وجود الله تعالى مذاهب شتى واستدلوا عليه بدلائل متنوعة ، فمع إجماعهم على اثبات واجب الوجود بنفسه قديم أزلي واحد ، إلا أنهم أختلفوا في الطرق التى سلكوها ، والبراهين التى استدلوا بها على إثبات هذا الوجود لله سبحانه وتعالى فسلك الفلاسفة في البرهنة على وجود واجب الوجود بذاته طريق الإمكان ، فاستدلوا على ذلك بأن هذه الموجودات ممكنة محتاجة إلى مرجح يرجح وجودها على عدم وجودها أو العكس ، وبما أن الدور والتسلسل في العلل محالان إجماعاً ، إذن لابد من الانتهاء بهذه الموجودات إلى واجب الوجود الذي يرجح وجود الممكن أو عدم وجوده .

وقد أوضح الشيخ ابن سينا هذا المسلك في الإشارات حيث قال : « كل وجود إذا التفت إليه من حيث ذاته من غير التفات إلى غيره ، فإما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه ، أو لا يكون ، فإن وجب فهو الحق بذاته الواجب الوجود من ذاته ، وهو القديم القيوم ، وإن لم يجب فلا يقال : أنه ممتنع لأنه قد فرض وجوده بل إن قرن باعتبار ذاته شرط ، مثل شرط عدم علته صار ممتنعاً ، أو مثل وجود علته صار واجباً ، وإن لم يقرن بها شرط وجود عله أو عدم عله ، بقي له من ذاته الأمر الثالث ، وهو الإمكان فيكون باعتبار ذاته الشئ الذي

لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود إما واجب الوجود بذاته ، أو ممكن الوجود بذاته » [١] .

لذا ذهب الفلاسفة في إثبات وجود الله تعالى إلى تأكيد إحتياج الممكن إلى علة توجده ، فليس وجوده من ذاته أولى من عدمه من حيث هو ممكن ، كما أنه لابد من إنتهاء وجود الممكنات إلى واجب الوجود بذاته ، وإلا أدى إلى التسلسل في العلل وهو محال : فكل ممكن محتاج في وجوده إلى غيره ، فإذا كان هذا الغير ممكناً أحتاج في وجوده إلى غيره وهكذا ، فإما أن ينتهي إلى واجب الوجود وهو المطلوب ، وأما يؤدي إلى التسلسل اللا نهائي في العلل وهو باطل بالأجماع .

أما المتكلمون فقد بنوا مذهبهم على الإستدلال بالحدوث فقالوا : إن الحدوث هو العلة المحوجة إلى المؤثر ، وأنه إذا ثبت أن العالم حادث كان لا بد له من محدث مخالف له في الماهية ذاتاً ووصفاً .

فالعالم حادث كائن يعد أن لم يكن ، والذي يدل على كونه حادثاً عدم خلوه من الحوادث المتغيرة وما لم يخلو من الحوادث فهو حادث .

إذن العالم[٢]. حادث وكل حادث مفتقر في وجودة إلى موجد يوجده بعد العدم ، فيجب أن يكون موجده واجب الوجود بذاته وإلا لزم التسلسل وهو محال .

---

(١) الاشارات التنبيهات : ج ٣ ص ٤٤٧ .

(٢) العالم : هو كل ماسوى الله تعالى من الموجودات .

ويرى بعض علماء السلف أن هذه الطرق - الإمكان والحدوث - في إثبات وجود الله تعالى طويلة واستدلالاتها عسيرة الفهم صعبة الإدراك ، وبعض لوازمها باطله تؤدي إلى تعطيل الذات عن أسمائها وصفاتها أو بعضها .

أما طريق القرآن العظيم والهدى النبوي الكريم في إثبات وجود الله تعالى بالدلائل الشرعية العقلية وغيرها ، فهي أبين للعقول ، وأوضح للأفهام ، وأيسر على القلوب ، فالاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تثبت وجود الله تعالى وتصفه بالجلال والإكرام والعظمة والقدرة توثقها في القلوب وتؤكدها في العقول الفطره الإيمانية عند الناس ، كما أنها تدعو الخلق للتفكر بآيات الله في آيات الله العليم الحكيم القدير في الكون وفي الأفاق وفي الأنفس ، فالاستدلال بكل ذلك يكون باحكامه واتقانه فيها ، قال جل ثناؤه :

﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفعَلُونَ ﴾ [1].

---

(١) سورة النمل : آية ٨٨ .

المبحث الأول :

منهج
الإمام فخر الدين الرازي
في الاستدلال على وجود الله تعالى

المبحث الأول
الإستدلال على وجود الله تعالى

منهج الإمام فخر الدين الرازي :

ذكر الإمام الفخر الرازي في إثبات وجود الله تعالى واجب الوجود لذاته كل المذاهب الكلامية ، وعرضها في كتبه عرضاً دقيقاً شاملاً لكل الدلائل فيقر ما يراه موافقاً لرأيه وعقله ، وينتقد ما يخالف في إعتقاده الشرع والعقل . لذا عمد الإمام فخر الدين أولا : إلى عرض أدلة الفلاسفة تفصيلاً وتحليلاً ، وناقش إستدلالاتهم نقاشاً علمياً هادفاً ، فأيد ما يراه موافقاً للعقل والشرع وأنتقد ما يخالفهما بإسلوب منطقي وحسب ما تقتضيه الأصول الكلامية والفلسفية .

ثم ذكر أدلة المتكلمين ثانيا : وأسهب في بيانها وتوضيحها ثم أكد الصحيح في رأيه ، وأبطل المخالف أو الذي يؤدي إلى ما يخالف الشرع والعقل .

كما أن الإمام الفخر قد ذكر موافقته لأدلة السلف في إثبات وجود الله تعالى بطريق الأحكام والأتقان وقال : بصحة دلالة الفطره على وجود الله جل شأنه ، فذكر ذلك في تفسيره بقوله : « أن الإقرار بوجود الصانع بديهي فالفطرة شاهدة بأن حدوث دار منقوشة مبنية متكاملة يستحيل إلا عند وجود بانٍ حكيم ونقاش عالم ، ومعلوم أن آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة ، فلما شهدت الفطره الأصلية

بافتقار النقش إلى نقاش ، والبناء إلى باني ، فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى فاعل مختار حكيم قادر – أولى » [١] .

ويستخلص من هذا أن الإمام الرازى – رحمه الله – اعتمد في منهجه بعد دلاله الفطرة في إثبات وجود الله تعالى على المنهج العقلي مؤكداً صحة منهجه بالأدلة الشرعية العقلية منها والنقلية – السمعية – حيث يقول : في تفسيره : فلا جرم يجوز إثبات كون الله تعالى واحداً بمجرد الدلائل السمعية القرآنية » [٢].

ومع هذا فقد اهتم الإمام اهتماماً بالغاً بالمنهج العقلى وتقديمه على كل مايمكن الاستدلال به في اثبات وجود الله تعالى .

وسأكتفي بذكر بعض الأدلة التى ذكرها الإمام فخر الدين الرازي في إثبات وجود واجب الوجود لذاته جل ثناؤه وتقدست ذاته وتعالت صفاته – وهي دلالة الفطره على وجود الله تعالى ، وكيف استدل بها على وجوده سبحانه ، ودلالة الإمكان ، والحدوث والجمع بين دلالتيهما ودلالة الإحكام والإتقان على وجود الصانع .

الفطرة ودلالتها على وجود الله تعالى :

يؤكد الإمام فخر الدين الرازي أن الفطرة الإيمانية بوجود الله تعالى شاهدة بافتقار كل هذا العالم إلى فاعل مختار حكيم وهذا ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى :

---

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٠٤ .

﴿ قَالَت رُسُلُهُم أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ ﴾ [١]

فبقوله تعالى :

﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ ﴾

استفهام إنكاري فهم مقرون بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار

﴿ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ ﴾

وأدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك وإنما هو في إن وجود الله تعالى لا يحتمل الشك » [٢] .

فيرى الإمام الرازي أن الفطرة مقرة ومعترفة بوجود الله تعالى شاهدة بتوحيده وتنزيهه ، وهذا ما تؤكده دلائل الآيات القرآنية ، والتى تبين أن جميع الخلق مقرون بوجود الله تعالى ، وأحوالهم دليل على هذا الاقرار .

ومن الآيات التي استدل بها الإمام الفخر الرازي على دلالة الفطرة في إثبات وجود الله تعالى قوله جل ثناؤه :

﴿ وَلَئِن سَأَلتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [٣]

وهذا دليل على اعترافهم بوجود الله القادر العالم الحكيم الرحيم والفطرة شاهدة بصحة هذا الدليل لأن من تأمل في عجائب أحوال

---

(١) سورة إبراهيم : آية : ١٠ .

(٢) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٩١ .

(٣) سورة الزمر : آية : ٣٨ .

السموات والأرض وما فيها من أنواع الحكم الغريبة ، والمصالح العجيبة علم أنه لابّد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم [١] .

كما استدل بقوله جل شأنه :

﴿ فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لاَ تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُونَ ﴾ [٢] .

على أن الفطرة هى توحيد الباري جل وعلا فقال : « إذا تبين الأمر ، وظهرت الوحدانية ، ولم يهتد المشرك فلا تلتفت أنت ... يا محمد ... إليهم ، وأقم وجهك للدين والزم فطرة الله وهي التوحيد فإن الله تعالى فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم عليه السلام وسألهم : « ألست بربكم ؟ قالوا بلى » وقوله تعالى :

﴿ لاَ تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ ﴾

أي الوحدانية راسخة فيهم لا تتغير ، حتى أن سألتهم من خلق السموات والأرض سيقولون الله [٣] .

ودليل آخر للإمام فخر الدين الرازي يؤكد به دلالة الفطرة على وجود الله تعالى الخالق الحكيم الرحيم وهو ما يكون من حال الكافرين عند نزول المصائب والمحن فإنهم يرجعون إلى الفطرة الشاهدة بوجود الله تعالى وتوحيده وقدرته على نجاتهم من الكرب ، وإنقاذهم من العذاب .

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ٢٨٢ .

(٢) سورة الروم : آية : ٣٠ .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٢٠ .

قال تعالى :

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الفُلْكِ دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [١] .

فالمشركون يعرفون بأن الأمر والخلق بيد الله ، ويعترفون بربوبيته ولكن لا يعملون بما يعلمون ، وهذا ما يؤيده قوله جل ثناؤه :

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [٢] .

فالمقصود انه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهراً وباطناً .

لذلك بين الله تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله ولا تعويل إلا على فضل الله عز وجل وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات ولكنه ليس كذلك [٣].

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢١ .

الإستدلال على وجود الله

الدلائل العقلية المحضة

الحدوث

لابد لنا قبل الخوض في الدلائل العقلية وكيفية الإستدلال بها على وجود الله والتى بنيت على حدوث العالم - أعراض وجواهر - من بيان وتفسير لمعنى الحدوث وما يقتضيه من سبق العدم أو أسبقية وجود غيره كما بينه الإمام الفخر الرازي في كتبه علماً ومذهباً حيث يقول : « المحدث من حيث إنه محدث يجب أن يكون وجودة مسبوقاً بعدمه ، ولا يجب من حيث هو محدث أن يكون وجوده مسبوقاً بوجود غيره ، لأنه ما لم يثبت بالدليل أن المحدث يمتنع أن يحدث إلا لمحدث وموجود ، فإنه لا يثبت أن المحدث لابد وأن يكون مسبوقاً بوجود غيره »[١] .

وفى موضع آخر يذكر الإمام الفخر في بيان معنى الحدوث وتقسيمه كما يبين ما يقابله عن القدم وأنواعه .

---

(١) المطالب العالية : ج ٤ ص ١٣ .

الحدوث واقسامه :

١- **الحدوث بالقياس :**

وهو الشئ الذي يكون ما مضى من زمان وجوده أقل مما مضى من زمان وجود شئ آخر .

٢ - **الحدوث المطلق :**

أ - **الحدوث الزماني** : ومعناه حصول الشئ بعد أن لم يكن له وجود في زمان سابق وبهذا التفسير لا يعقل حدوث أصل الزمان لأن حدوثه لا يتقرر الا إذا سبقه زمان قارنه عدمه ، فيكون الزمان موجوداً عندما فرض معدوماً وهذا خلف.

ب - **الحدوث الغير زماني** : وهو أن لا يكون للشئ وجود مستند إلى ذاته بل إلى غيره سواء كان ذلك الاسناد مخصوصاً بزمان معين أو كان مستمراً في كل الزمان وهذا هو الحدوث الذاتي [1].

كما يرى الإمام الرازي أن الزمان عباره عن أقسام متلاحقة ، وأجزاء متعاقبة . فنقول : كل واحد من تلك الأجزاء قد حدث بعد عدمه ، وكل ما كان كذلك فهو ممكن لذاته ، وكل واحد من أجزاء الزمان ممكن لذاته وكل ما كان كل واحد من أجزائه ممكناً لذاته ، فإن مجموعة أيضاً ممكن لذاته . وكل ممكن لذاته فله مؤثر فاعل مختار متقدم على فعله . ينتج : أن فاعل الزمان متقدم على وجود الزمان . وذلك التقدم ليس بالزمان وإلا لزم أن يكون الزمان موجوداً حال عدمه .

---

(١) المباحث الشرقية ج ١ ص ١٣٣ .

وذلك محال . فهذا نوع من التقدم مغاير للتقدم بالزمان ومغاير لسائر الأقسام . كالعلة والذات والمكان والشرف والزمان وهو المطلوب [١] .

ويقابل الحدوث القدم ، فكما أن الحدوث هو الذي له أول لوجوده ويسبقه العدم ، فالقديم هو الذي لا أول لوجوده ولا يسبقه العدم والقدم نوعان :

١ - قدم بالقياس : وهو الشئ الذي يكون ما مضى من زمان وجوده أكثر مما مضى من زمان وجود شئ آخر .

٢ - قدم مطلق :

أ - القدم الذاتي : بحسب الذات وهو الشئ الذي ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب ، والقدم بهذا المعنى مرادف لواجب الوجود.

ب - القدم الزماني : بحسب الزمان وهو الشئ الذي لا أول لزمان وجوده والزمان بهذا المعنى ليس بقديم لأن الزمان ليس له زمان [٢] . ومتى كان الزمان حادثاً كان عدمه سابقاً على وجوده ، وذلك السبق ليس بالزمان فقد حصل سبق العدم على الوجود من غير حصول الزمان [٣].

---

(١) المطالب العالية : ج ٤ ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) المباحث الشرقية ج ١ ص ١٣٣ .

(٣) المطالب العالية : ج ٤ ص ١٦ .

حدوث العالم :

يبرهن الإمام الفخر الرازي على حدوث العالم بحدوث الأجسام التى لا تخلو من الأعراض والصفات ، والأعراض حادثه وما لا يخلوا من الحوادث فهو حادث ، إذن الأجسام حادثة لقيام الأعراض الحادثة فيها ، ويوضح الإمام الرازي مذهبه بقوله : « وإن كل موجود إما أن يكون في محل هو العرض[١] ، واما أن لا يكون في محل وهو الجوهر[٢] ، والذي يكون في المحل الصورة الجسمانية والذي ليس في المحل فلا يخلو أما أن يكون محلاً لشئ مقوم به أو لا يكون فإن كان محلاً فهو الهيولي وإن لم يكن محلاً فلا يخلو إما أن يكون مركباً من الهيولي والصورة وهو الجسم ، وإما أن لا يكون وحينئذ لا يخلو أما أن يكون له علاقة بالمحل بالتدبر والتحريك وهو النفس وأما أن لا يكون وهو العقل »[٣] .

ويقول في موضع آخر : « والصورة الجسمية من مقولة الجوهر وقابلية الجوهر للإعراض أمر إضافي نسبي لازمه للجوهر وماهية الجوهر غير محسوسة ولا متصوره تصوراً أولياً ...

والأعراض التي هي المقادير والأبعاد للأجسام مشتركة في الصورة الجسمية ولكنها غير مشتركة في مادة الجسم »[٤] .

(١) العرض : هو الموجود فى شئ غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامة دون ماهو فيه .
المباحث : ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) الجوهر : هو الموجود لافى موضوع بمعنى بمعنى أن ماهيته إذا وجدت كانت لافى موضوع .
المرجع السابق : ج ١ ص ١٤١ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ١٣٨ .

(٤) المرجع السابق : ج ١ ص ٥٥٧ .

فالأجسام مركبة من الجواهر والأعراض ، ويمتنع أن يخلو واحد منهما عن الآخر ، وليس أحدهما علة في وجود الآخر ، فعلى هذا يكون الجسم مركباً ، وكل مركب ممكن وكل ممكن حادث :فالأجسام حادثة ولمزيد بيان وتفريع استدلال لاثبات حدوث العالم يذكر الإمام الفخر أن الأجسام لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث يقول في ذلك :« إن الأجسام لا تخلو عن الحوادث لأنها لا تخلو عن الأكوان ، والأكوان حادثة فالأجسام لا تخلو عن الحوادث فهي حادثة ، وبيان ذلك من وجهين :

أحدهما : أن ندعي العلم الضروري بكون الأكوان زائدة على ذات الجسم لأن المفهوم من التحيز مغاير للمفهوم من حصوله في الحيز .

ثانيهما : أن ندعي الاستدلال فيه ، وذلك لأن الجسم لم يكن متحركاً ثم صار متحركاً ، فتبدُّل الحالتين عليه مع بقائه مدركا بالحس ، والمتبدل غير المستمر الذي هو ذات الجسم [1] .

وفي موضع آخر يذكر الإمام « الجسم لا يخلو عن الأكوان مبني على أمرين :

الأول : إثبات الأكوان ، والمراد من الكون : حصول الجسم في الحيز وهو أمر زائد على ذاته .

---

(١) نهاية العقول : ٢٢/ب .

الثاني : بيان أن الجسم لا ينفك عن الأكوان ، وتقريره ظاهر لأن الجسم ما دام يكون جسماً ، فإنه يجب أن يكون حاصلاً في حيز معين . فإذا دللنا على أن حصوله في الحيز المعين زائد عليه ، كان ذلك دليلاً على أن ذات الجسم لا ينفك عن الأكوان [١] .

والأكوان حادثة لأن كل كون فإنه يصح عليه العدم ، وكل ما صح عليه العدم إمتنع عليه القدم ، وما أمتنع عليه القدم فهو حادث فثبت أن الجسم لا يخلو عن الأكوان ... فإذن الجسم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، إذن الجسم حادث [٢] .

كما استدل الإمام فخر الدين على أن الحوادث لها أول ، وأبطل قول من قال بحوادث لا أول لها وذلك من وجوه .

الأول : هو أن كل واحد من الحوادث سبقه عدم لا أول له ، فإذا كان كل واحد منها حادثاً كان مجموع العدمات السابقة عليها حاصلاً في الأزل ولو وجد شئ من الحوادث في الأزل مع هذا الفرض ، مع أن عدمه كان حاصلاً في الأزل لزم أن يكون وجود شيء حاصلاً مع عدمه وأنه محال فثبت أنه ليس شئ من الحوادث موجوداً في الأزل فإذن لكل الحوادث أول وبداية [٣] .

الثاني : هو أن الحوادث إما أن وجد شيء منها في الأزل أو لم يوجد فإن كان الثاني كان لكل الحوادث أول وهو المطلوب وإن وجد شيء منها في الأزل فهو محال .

---

(١) المطالب العالية : ج ٤ ص ٣٠٩ .

(٢) نهاية العقول : ٢٣/أ .

(٣) المرجع السابق .

أما أولاً : فلأن الأزلية تنافي المسبوقية والحدوث يقتضي المسبوقيه وبينهما تناف .

وإما ثانياً : فلأن الذي وجد منه في الأزل إن كان مسبوقاً بغيره لم يكن هو أزلياً وإن لم يكن مسبوقاً بغيره فهو أول الحوادث وهو المطلوب [١] .

الثالث : هو أن كل الحوادث لا شك في إحتياجها إلى المؤثر وذلك المؤثر يستحيل أن يكون موجباً ، بل مختار وكل ما كان المؤثر فعل لفاعل مختار فإنه يجب أن يكون مسبوقاً بالعدم فإذن جملة الحوادث مسبوقة بالعدم وهو المطلوب [٢].

ولبيان ما ذهب إليه الإمام فخر الدين الرازي في الاستدلال على حدوث العالم باحتياج الحدوث إلى المؤثر المختار دون الموجب ، نورد ما ذكره الإمام من اتفاق وإختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين في إسناد الأثر وتقسيمه ولوازم هذا الأسناد بينهما فيقول : « إعلم أن المؤثر على قسمين .

أحدهما : الفاعل المختار

والثاني : العلة الموجبة .

هذا وقد يثبت إتفاق الفلاسفة المتكلمين على أن إسناد الأثر القديم إلى الفاعل المختار محال ، واتفقوا على أن إسناد الأثر القديم إلى

(١) نهاية العقول : ٢٣/أ .

(٣) المرجع السابق ٢٣/ب .

العلة القديمة غير ممتنع ولما أعتقد الفلاسفة ان إلـه العالم موجب بالذات لزم إعتقادهم عدم إمتناع إسناد الأثر القديم إلى العلة القديمة ، لأنهم يذهبون إلى القول بقدم العالم أما المتكلمون : فإلـه العالم فى إعتقادهم فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف شاء وقت ما شاء ، فعلى هذا يمتنع في إعتقادهم إسناد الأثر القديم إلى الفاعل المختار لأن فعله حادث وليس بقديم [١] .

والعالم من فعل الله تعالى المختار فثبت أن العالم حادث وليس بقديم ، كما أن قوانين الحركة والسكون تؤكد حدوث العالم وعدم أزليته في رأي الإمام الرازي حيث يقول : « إن الحركات الماضية قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه . فالحركات الماضية متناهية ، ومما يثبت زيادة الحركات ونقصانها ، أما إذا أخذنا اليوم مع ليلته شيئاً واحداً . فلاشك أنه ينقسم إلى ليل ونهار فيكون عدد مجموع الأيام في الشهر ضعف عدد الليالي وأيضاً ، أنه كلما حدث يوم فإنه تزداد الجملة الماضية بيوم واحد فكان المجموع الحاصل قبل هذا اليوم ، أنقص من المجموع الحاصل بعد حصول هذا اليوم ، والزيادة والنقصان حاصلة أبداً [٢] . أن كل مايقبل الزيادة والنقصان فله عدد متناه . فتقريره : أن الشئ إنما يكون أنقص من غيره لو أنتهى ذلك الشئ إلى حيث لا يتبقى منه شئ ، مع أنه بقي من ذلك الزائد شئ ، وكل ما أنتهى عدده

---

(١) المطالب العالية : ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٥٠ .

إلى حيث لا يبقى منه . مع أنه بقي من ذلك الزائد شئ ، وكل ما انتهى عدده إلى حيث لا يبقى منه شئ كان متناهياً ،

وينتج أن كل عدد ناقص فهو متناه ثم إن الزائد إنما زاد على ذلك الناقص المتناهي : بعدد متناه ، والزائد على العدد المتناهي بعدد متناهي يجب أن يكون متناهياً . فهذا الزائد أيضا يجب أن يكون متناهياً فالأحوال الماضية والأدوار الماضية : يجب أن تكون متناهية وكل متناه حادث إذن العالم حادث » [1] .

الإستدلال على وجود الله تعالى بحدوث الأجسام :

من أهم استدلالات الإمام فخر الدين الرازي وأولها على إثبات واجب الوجود سبحانه وتعالى استدلاله بالحدوث ذاتاً وصفة ، ولتقرير ذلك نذكر مذهبه في الاستدلال فقد ذكرنا سابقاً ضرورة المقدمة الأولى من الاستَدلال وهي أن الأجسام محدثة وبينا كيفية حدوثها والدلائل المؤكدة على ذلك . ونتطرق هنا لبيان المقدمة الثانية والوصول إلى النتيجة المطلوبة ، فالمقدمة الثانية وهي أن كل محدَث لابد له من محدِث ، والنتيجة هي أن الحوادث محتاجة فى وجودها إلى محدِث .

ولبيان أن الأجسام المحدثة لابد لها من محدث يقول الإمام الرازي : « إن كل محدث فهو جائز الوجود لذاته ، وكل ما كان جائز الوجود لذاته فهو مفتقر إلى المؤثر ، وكان قبل وجوده معدوماً ، ولو لم

---

(١) المطالب العالية : ج ٤ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

تكن ماهيته قابلة للعدم لما كان معدوماً . وأيضاً كل محدث فإنه بعد حدوثه موصوف بالوجود ، ولو لم تكن ماهيته قابلة للوجود لما كان كذلك فثبت أن كل ما كان محدثاً فإن ماهيته قابلة للعدم وقابلة للوجود ولا معنى للممكن إلا ذلك » [١].

إذن احتاج الممكن إلى مرجح يرجح وجوده على عدمه أو العكس وليس المرجح الا واجب الوجود لذاته .

كما أن أكثر علماء المتكلمين قالوا : « إن العلم باحتياج المحدث إلى المؤثر - علم ضروري - وقالوا: والذي يدل عليه أن كل من رأي بناء رفيعاً وقصراً مشيداً اضطر إلى العلم بأن له بانياً وصانعاً حتى أن من جوز حدوث ذلك البناء لا عن فاعل وبان كان محكوماً عليه بالجنون »[٢] وعلى هذا فكل محدث لابد له من محدث فاعل مختار .. مقدمة ضرورية ، وهذا الدليل يتم إذا قلنا أن ذلك الفاعل ، أن كان محدثاً لزم التسلسل أو الدور ، وأن كان قديماً فهو واجب الوجود لذاته ، وهو المطلوب » [٣].

ولمزيد استدلال بين الإمام فخر الدين الرازي في موضع آخر احتياج المحَدث للمحدِث في وجوده حيث يقول : « أنه لما ثبت أن العالم ما كان موجوداً ثم كان موجوداً ، فحقيقة العالم قابلة للعدم

---

(١) الأربعين ص ٨٦ ، وانظر نهاية العقول : ٥٤/ب .

(٢) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) المطالب العالية ج ١ ص ٢١٥ .

وقابلة للوجود وكلما كان كذلك مرجحان وجوده على عدمه لأجل ترجيح مرجح ، فثبت أن وجود العالم محتاج إلى الموحد المؤثر »[١] .

كما يقسم الإمام الرازي الموجودات إلى واجب الوجود وجائز الوجود أو ممكن الوجود ، ويثبت بالبرهان أنه لا يمكن إثبات موجودين واجبى الوجود وهو محال . فيقول الإمام في ذلك : « أن جميع الموجودات إما واجب وأما ممكن الوجود أو البعض واجب والبعض ممكن لاجائز أن يكون الكل واجباً لأنه ثبت بالبرهان القاطع أن إثبات موجودين واجبي الوجود محال ، ولا جائز أن يكون الكل ممكناً لأن جميع الممكنات ممكن بحسب المجموع وبحسب الأجزاء وكل ممكن فهو محتاج في وجوده إلى شيء آخر مغاير بحسب المجموع وبحسب الأجزاء وكل موجود مغاير بمجموع الممكنات البته وكل موجود ليس ممكن الوجود فهو واجب الوجود ، فثبت أن واجب الوجود واحد موجد وثبت أن جملة الممكنات محتاجة في وجودها إلى واجب الوجود فثبت أنه سبحانه وتعالى موجود[٢] .

الإستدلال على وجود الله تعالى بحدوث الصفات :

ويؤكد الإمام فخر الدين الرازي أن العلم بحدوث الصفات يسبق العلم بحدوث الأجسام بل حدوث الذوات مبني على حدوث الأعراض

---

(١) المطالب العالية : ج ١ ص ٢١٣ ، وانظر الاربعين ص ٨٩ .

(٢) الخمسين ص ٤ .

وذلك لأن حدوث الأعراض - الصفات - يمكن إثباته بالمشاهدة الحسيه أما حدوث الذوات فإثباته يكون بعد إثبات حدوث الأعراض لأن الأجسام متماثلة في الجسمية مختلفة في الأعراض القائمة بها لذا يقول الإمام : « الأجسام متماثلة في الجسمية مخالفة في الصفات القائمة بها كما أن بعضها حار وبعضها بارد وبعضها رطب وبعضها يابس وبعضها لطيف وبعضها كثيف وبعضها سفلي وبعضها علوي والمؤثر في وجود هذه الصفات المختلفة يمتنع أن يكون جسماً لأن ما به الاشتراك لا يمكن أن يكون لما به الامتياز فلابد من وجود شئ آخر يؤثر في حصول هذه الصفات المختلفة ثم هذا المؤثر إن كان حسماً عاد الكلام الأول فيه ويلزم التسلسل وهو محال فثبت أن المؤثر في حصول هذه الصفات المختلفة شئ آخر سوى هذه الأجسام وذلك المؤثر إما أن يؤثر بالطبع والإيجاب أو بالقصد والاختيار والأول باطل ، لأن تأثير الموجب بالطبع بالنسبة إلى جميع المتساويات على السوية . فيستحيل أن يكون تأثيره في الجسم بالحرارة وفي جسم آخر بالبرودة في جسم آخر باللطافة في جسم آخر بالكثافة فثبت أن المؤثر في وجود هذه الأشياء ليس بجسم ولا جسماني بل هو فاعل مختار بالقصد والإرادة لا بالطبع والايجاب وبالله التوفيق »[1].

ويتضح لنا من ذلك أن الإمام الرازي يرى أن كل محدث لابد له من محدث مختار بالقصد والإرادة ، فالأجسام متماثلة في الجسمية

---

(١) المسألة الخمسين ص ٥ .

مختلفة في الأعراض القائمة بها وهذا الاختلاف يؤكد أن محدثه فاعل بالاختيار والقصد لا بالإيجاب والطبع لأنه لو كان بالإيجاب والطبع لتماثلت الأعراض لتماثل الأجسام .

ويعتبر الإمام الرازي الاستدلال بحدوث الصفات من أرجح الاستدلالات وأقواها في إثبات وجود الله تعالى ، لأنها أوقع في القلوب وأكثر تأثيراً في العقول ، وأبعد عن جهات الشبهات والكتب الألهية مملوءة من هذا النوع من الدلائل ، وأجلها ، واعظمها القرآن الكريم الذي يورد الدلائل المقرة بوجود الآله الحكيم وأقواها وآكدها دليل النطفة الذي أجمع العلماء على الاستدلال به .

ويقرر هذا الدليل الإمام فخر الدين بقوله : « إن بنية الأبدان مركبة من أعضاء مختلفة في المقدار والشكل والترتيب والصلابة والرخاوه ثم إن هذه البنية مع اختلاف أجزائها في الصفات والأحوال نراها متولدة من النطفة »[1].

ولمزيد بيان وإيضاح يذكر الإمام في موضع آخر « إن كل مركب لابد وأن يكون مركباً عن أجزاء كل واحد منها يكون بسيطاً في نفس الأمر وفي الحقيقة ، وإذا كان كذلك فكل واحد من تلك الأجزاء يكون قابلاً متشابه الأجزاء في الحقيقة ، وتكون القوة الطبيعية الفاعلة فيها قوة واحدة ، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يكون كل واحد من تلك الأجزاء على شكل كره ، فوجب أن يكون بدن الإنسان على صورة

---

(١) المطالب العالية : ج ١ ص ٢١٨ .

شكل كرات مضمومة بعضها إلى بعض ، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك وأيضاً فالنطفة رطبة رقيقة . وما كان كذلك فإنه لا يحفظ ترتيب الأجزاء ، ولا نسبة بعضها إلى بعض بالترتيب المشاهد بالحس ، ولما كان كذلك علمنا أن تخليق كل واحد من هذه الأعضاء وبقاءها على ترتيبها الموجودة عليه لا يكون الا بفعل خالق قادر عالم حكيم » [١] .

كما أن الاستدلال بتكون البدن من النطفة على وجود الصانع الحكيم من وجهين إما أن تكون هذه النطفة جسماً متشابه الأجزاء في نفس الأمر ، وإما أن تكون متشابه الأجزاء بحسب الحس مختلفة الأجزاء . في الحقيقة حيث ينفصل الجزء اللحمي من اللحم والجزء العظمي من العظم وكذا في جميع الأجزاء والأبعاض ولبيان كيفية الاستدلال على وجود الله الخالق الحكيم من الوجه الأول :

هو كون جسم النطفة متشابه الأجزاء في الحقيقة يقول الإمام الرازي : « إن جسم المني متشابه الأجزاء في الحقيقة ونسبة حرارة الرحم ، والقوة الطبيعية ، وتأثره بالطبائع والأنجم والأفلاك إلى جميع أجزاء ذلك المني على السوية .

والقابل إذا كان متشابه الأجزاء كانت نسبة تأثير الفاعل إلى جميع تلك الأجزاء على السوية ، فعلى هذا التقدير يجب أن يكون الأثر متشابهاً وأن يكون الفعل متساوياً وكان يجب أن يكون بدن

---

(١) الاربعين ص ٩١ .

الإنسان جسماً متشابه الأجزاء من الطبع والطبقة والخاصية ، ومعلوم أنه ليس كذلك »[١] فثبت أنه لابد من فاعل مختار خالق حكيم يفعل ما يشاء .

أما الوجه الثاني :

وهو القول بأن جسم المنى جسم مركب من أجزاء مختلفة الطبائع فيقرره الإمام الرازي من وجهين الأول :

كل مركب فإنه ينتهي تحلل تركيبه إلى البسائط فإذا كان جسم المني مركباً من أجسام مختلفة الطبائع فكل واحد من تلك الأجسام يجب أن يكون جسماً بسيطاً في نفسه والقوة العاملة في تلك المادة البسيطة لا تقبل الا شكلاً متشابهاً وهو الكره ، وحينئذ يلزم أن يكون جسم الإنسان مشكلاً بشكل كره ، مضموم بعضها إلى بعض ، ولما لم يكن الأمر كذلك ،[٢] فقد بطل القول بأن التأثير بالقوه العاملة هو السبب في تخليق الإنسان وثبت أنه لابد من فاعل مختار قادر حكيم .

الثاني : إن جسم المني جسم رطب والجسم الرطب لايحفظ وضع الأجزاء وترتيبها ، فالجزء الذي يكون مادة الدماغ جزء مخصوص ، والجزء الذي يكون مادة القلب جزء آخر ، وإذا كان الجسم الرطب لا يحفظ الوضع والترتيب ، فلعل الجزء الذي هو مادة القلب ، يحصل فوق الجزء الذي هو للدماغ يحصل في الوسط ، وحينئذ يجب أن يتولد

---

(١) المطالب العالية : ج ١ ص ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ .

ذلك الانسان بحيث يصير قلبه فوق دماغه في الوسط ، وحيث لم يكن الأمر كذلك البته .

علمنا : أن حصول جواهر هذه الأعضاء وحصول ما بها من الترتيب ، إنما بتخليق إله قدير حكيم عليم ، لا بتأثير الطبائع والأفلاك . فإن من لا يكون عليماً حكيماً امتنع أن تصدر عنه الأفعال المحكمة المتقنة الموافقة للمصالح ، وهذا دليل قوي كامل . ولقوة ظهوره، ذكره الله تعالى في القرآن العظيم في أكثر من ثمانين موضع منها قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـٰماً فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ﴾ (١) .

كما يستدل الإمام فخر الدين على وجود الله الخالق المدبر الحكيم بحدوث الصفات وإحتياجها وافتقارها في وجودها إلى الخالق القدير العالم بأحوال الأفلاك ، لأنه يرى أن الاستدلال بأحوال ذلك العالم على وجود الآله أظهر وأقوى في الاستدلال كما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿لَخَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ١٢ - ١٤ .

(٢) سورة غافر : آية : ٥٧ .

فمن تدبر في أجزاء العالم الأعلى والأسفل ظهر له أن هذا العالم مبنى على الوجه الأصلح والأصوب والترتيب الأفضل والأتقن وصريح العقل شاهد بأن وقوع الشئ على هذا الوجه لا يكون الا بتدبير حكيم عالم [١] .

وهذا النوع من الدلائل كثير جداً والقرآن العظيم بينه أحسن بيان قال جل ثناؤه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِى تجَرِي فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُمِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصريِفِ الرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَآءِ وَالأَرضِ لأَيَـٰتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾ [٢] .

فهذه الآية مشتملة على ثمانية أنواع من الدلائل فالثلاثة الأول من الدلائل الفلكية : وهي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيلِ وَالنَّهَارِ ﴾

والخمسة الباقية من الدلائل هي دلائل العناصر ،وهي قوله جل شأنه :

﴿ وَالفُلْكِ الَّتِى تجَرِي فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾

ثم ذكر بعده دلائل النبات فقال جل جلاله :

---

(١) المطالب العالية ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .

﴿ وَمَآ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا ﴾

ثم ذكر بعده دلائل الحيوان فقال تعالى :

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾

ثم ذكر دلائل الآثار العلوية وذكر فيها نوعين الرياح والسحاب فقال جل ثناؤه :

﴿ وَتَصرِيفِ الرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَآءِ وَالأَرضِ ﴾

ولما ذكر جل شأنه هذه الدلائل الثمانية قال :

﴿ لأيَـٰتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾

ومن هذا يبين الإمام الرازي أن دلائل الحكماء والمتكلمين وإن كانت كاملة وقوية الا أن هذه الطريقه المذكورة في القرآن العظيم هي المؤدية إلى الحق والصواب وذلك لأن دلائل الحكماء والمتكلمين دقيقة انفتحت بسبب دقتها أبواب الشبهات وكثرت السؤالات . أما طريق القرآن الكريم فتمنع من التعمق مع حمل الفهم والعقل على الاستكثار من دلائل العالم الأعلى والأسفل، وتدعو إلى ترك التعصب ، فطريقة الاستدلال التى ذكرها القرآن العظيم أنفع وفي القلوب أرجح [١] .

كما ذكر الإمام فخر الدين الرازي ما ذهب إليه المتكلمون من الاستدلال على حدوث الأعراض وافتقارها إلى المحدث بإبطال القول

---

(١) المطالب العالية ج ١ ص ٢٣٦ .

بوجود حوادث لا أول لها ، لأنه يجب انتهاء الحوادث إلى موجد ليس بحادث أوجدها ، ودليلهم على ذلك :

« أن ماهية الحركة وحقيقتها أنها انتقال من حالة إلى حالة وكل ما كان كذلك فإن حقيقته تقتضي أن يكون مسبوقاً بالحالة المنتقل عنها وكل ما كان كذلك ، فإن حقيقته تقتضي أن تكون مسبوقة بغيرها ، فثبت أن حقيقة الحركة وماهيتها تقتضي أن تكون مسبوقة بغيرها ، وأما حقيقة الأزل ونفي الأولية فيه تقتضي أن لا تكون مسبوقة بغيرها وإذا ثبت هذا فنقول : لو فرضنا حركة موجودة في الأزل فهي لكونها حركة إما أن تكون مسبوقة بغيرها ، أو لكونها أزلية يجب أن لا تكون مسبوقه بغيرها ، وذلك يوجب الجمع بين النقيضين،وهو محال .

فيثبت بهذا البرهان أنه لابد للحركات من أول ومن بداية وإذا ثبت هذا فلابد من القول : إنه قبل ذلك الوقت الذي هو أول الحركات ، لابد من أمرين إما أن تكون الأجسام معدومة ثم وجدت وتحركت ، أو تكون الأجسام موجودة ولكنها واقفة ساكنة فلما جاء وقت حدوث حركاتها تحركت وعلى كلا التقديرين فصريح العقل يشهد بافتقارها إلى اله يحركها ويدبرها .

فأما من قال أنها كانت معدومة ثم وجدت وتحركت فالعقل يقضي بافتقارها إلى الموجد ، وأما من قال : أنها كانت موجودة ولكنها كانت واقفه ثم أبتدأت من ذلك الوقت بالحركة فإن العقل يقضي بافتقارها إلى المحرك المدبر .

فثبت أن حركات الأفلاك تدل على جميع الاعتبارات [١] على افتقارها إلى مدبر يدبرها ومحرك يحركها ، فدل كل ذلك أنه لابد من الاعتراف بوجود إله لهذا العالم يدبره ويتصرف فيه كيف يشاء وأراد [٢] قال تعالى :

﴿ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [٣]

الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل الإمكان :

يرى الإمام فخر الدين الرازي أن العالم ممكن وكل ممكن محدث فالعالم محدث ، وتقرير ذلك أن العالم عباره عن موجودات كثيره ، والأشياء الكثيرة لا تكون واجبه الوجود ، لأن الأمور الكثيره إذا كانت واجبه الوجود لذواتها كانت مشاركة في الوجوب ومتباينه بخصوصياتها وتعيناتها ، وما به المشاركة غير ما به والممايزة ، فإذن وجوب كل واحد منها مغاير لتعينه فلا يخلو إما أن يكون بين وجوبه وتعينه ملازمة أو لا يكون فإن كان وجوبه ملازماً لتعينه فلابد وأن يكون أحدهما ملزوماً للآخر والآخر لازم له ، فإما أن يكون التعين مقتضياً للوجوب فيكون الوجوب معلولاً ، وكل معلول فهو ممكن لذاته

---

(١) إعتبارات الفلاسفة والمتكلمين : فقد قال الفلاسفة : حركات الأفلاك لا أول لها فوجب إفتقارها إلى المحرك الذى يحركها وقت حدوث الحركة فى الأجسام الموجودة فى الأزل .

وأما المتكلمون فقالوا : حركات الأفلاك لها أول فوجب إفتقارها إلى محرك ومدبر يدبره .

(٢) المطالب العالية ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية : ٥٤ .

وكل ممكن لذاته فإنما يوجد عندما يصير واجباً لعلته وإنما يجب لوجوب علته .فإذا كانت علته واجبه ، فلوكان وجوب تلك الأشياء معلولاً لتلك التعينات لكانت تلك التعينات واجبة قبل كونها واجبة فيلزم التسلسل وأما أن يكون الوجوب مقتضياً لذلك التعين فكل وجوب يجب أن يقتضي ذلك التعين ، فما ليس بذلك المعين لا يكون واجباً ، فلا يكون واجب الوجود أكثر من واحد وأما أن لم يكن بين ذلك الوجوب وذلك التعين ملازمة لم يكن اجتماعهما إلا لعله مغايره فتكون ذات كل واحد من تلك الأشياء متعلقة بشئ آخر ، والمتعلق في وجوده بغيره ممكن لذاته ، وكل واحد من تلك الأشياء ممكن لذاته ، فثبت أن الأمور الكثيره لا تكون واجبه الوجود وثبت أن العالم ليس بواجب الوجود لذاته فهو ممكن الوجود لذاته فثبت أن العالم ممكن[1] و أن جملة الممكنات محتاجة في وجودها إلى واجب الوجود فثبت أنه سبحانه موجود

الاستدلال على وجود الله تعالى بإمكان الأجسام :

بعد عرض أدلة الحدوث التى قال بها الإمام فخر الدين الرازي وبيان حدوث الأجسام وحدوث الصفات بالدليل العقلي والشرعي وافتقارها إلى محدث يحدثها مخالفاً لها في الوجود والماهية ، تذكر كيفية استدلال الإمام الرازي على وجود الله تعالى بدليل الإمكان للأجسام ، الذي جمع فيه بين دليلي الحدوث والإمكان ، فبعد عرض أدلة الفلاسفة على وجود الله تعالى بإمكان الصفات والاعتراض عليها

---

(١) نهاية العقول :٤٥/أ . والمطالب العالية ج ١ ص ١٧٣.

قرر دليل المتكلمين وما ذهبوا إليه من أن الأجسام حادثة ، وكل محدث فهو ممكن الوجود لذاته .

كما ذكر في بعض كتبه دليلاً على إمكان الأجسام ، وبين كيفية الاستدلال بإمكانها على وجود واجب الوجود لنفسه فقال : « لا شك أن الحقائق والماهيات موجودة وكل موجود فإما أن تكون حقيقة قابلة للعدم أو لا تكون كذلك ، فإن لم تقبل حقيقته العدم كما هي كان ذلك الموجود هو واجب لذاته وهو المطلوب ، فإن كانت حقيقته قابلة للعدم فنقول : كل موجود تكون حقيقته إلى الوجود والعدم على السواء . وكل ما كان كذلك لم يكن وجوده راجحاً على عدمه إلا لمرجح ، وذلك المرجح لابد أن يكون موجوداً ، ثم ذلك المرجح إن كان ممكناً عاد الكلام فيه ، ويلزم الدور أو التسلسل وهما محالان ، فلا بد من الأنتهاء إلى واجب الوجود لذاته »[1] وهذا البرهان مبني على أربع مقدمات وهي :

المقدمة الأولى : وهي أن كل موجود يقبل العدم فإن الوجود والعدم بالنسبة إلى ماهيته على السوية .

المقدمة الثانية : إن الممكن المتساوي لا يترجح أحد طرفيه على الآخر الا لمرجح .

المقدمة الثالثة : نفي الدور وهو كون كل واحد من الموجودين علة في وجود الآخر .

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ص ٧٠ - ٨٠ .

وانظر المباحث المشرقية ج ٢ ص ٤٤٨ ، والمطالب العالية ج ١ ص ٧٢ .

المقدمة الرابعة : إبطال التسلسل ، لأنه لو تسلسلت الأسباب إلى مالا نهاية لكانت بأسرها موجودة في الحال ، لوجود العلة والمعلول معاً .

فبناء على هذه المقدمات يثبت وجود الموجودات وكل موجود فهو إما واجب الوجود لذاته وإما ممكن لذاته فإن حصل في الموجودات واجب الوجود لذاته فهو المطلوب . وإن كان ذلك الموجود ممكناً افتقر في وجوده إلى موجد فإن كان الموجد ممكناً افتقر إلى موجد وأدى ذلك إلى الدوراًوالتسلسل وهما محالان فلابد إذن من الانتهاء إلى واجب الوجود لذاته وهو المطلوب » [1] .

الاستدلال على وجود الله تعالى بإمكان الصفات :

يرى الإمام فخر الدين الرازى أن إثبات وجود الله العالم عز وجل بناء على التمسك بإمكان الصفات مبني على إثبات أن الأجسام متساوية فى تمام الماهية ، وهذا مطلوب صعب الإلزام ، فكما أن الصفات متساوية فى كونها صفات ، ومختلفة بحسب ماهيتها المخصوصة مثل لونها سواداً أو بياضاً أو حلاوة أو حموضة ، فكذلك الأجسام متساوية فى عموم الجسمية والتحيز ومختلفة بحسب ماهياتها المخصوصة فجسمية النار تخالف جسمية الأرض ، وجسمية كل منهما تخالف جسمية الفلك فلا يلزم من استواء الأجسام فى عموم الجسمية استواؤهافى ماهياتها المخصوصة .

---

(١) انظر الاربعين ص ٨٤ .

(٢) انظر المطالب العالية ج ١ ص ١٧٧ ، والأربعين ص ٨٤ .

فالفلاسفة يجعلون المقادير من باب الأعراض ، والأجسام عبارة عن الذات القابلة لهذه المقادير ، فمن هذا القول تبين لنا اعتبارات ثلاثة وهي :

١- المقبول وهو المقدار .

٢ - وكون ذات الجسم مقابلة لذلك المقدار ، وهذه القابلية نسبة مخصوصة بين ذات القابل وبين هذا المقدار .

٣ - وتلك الذات المحكوم عليها بكونها قابلة لهذا المقدار .

فالمقادير متساويه في الماهيات لكونها مقادير ، وذوات الأجسام القابلة لهذه المقادير فهي أيضاً معقول مشترك فيها بين الكل .فإذا ثبت في علوم العقل أن الأشياء المختلفة لا يمتنع اشتراكها في بعض اللوازم ، امتنع كون ذات الأجسام مختلفة بحقائقها ومتباينه بماهياتها المعينه ، وذلك لأنه متى علم أن الحقائق والماهيات سواء كانت متساويه أو مختلفة يمكن اشتراكها في بعض لوازمها ، يكون إثبات أن الأجسام متساوية في تمام حقائقها وماهياتها أمر في غاية الصعوبة . وبين الإمام فخر الدين أن تماثل الأجسام لا يكون إلا في طبيعة الحجمية والمقدار ، أما التعين والتشخص فكل جسم مغاير للآخر فيه ، فإما أن تكون هذه الأجسام المتماثلة في الحجمية والمقدار المتباينة في التعين والتشخص مختلفة في الماهيه وإما أن لا تكون مختلفة . فإن كانت

---

(١) انظر المطالب العالية ج ١ ص ١٧٨ .

متماثلة في الماهيه والحقيقه فهذا هو المطلوب الذي يمكن الاستدلال بإمكان الصفات به . وإن كانت مختلفة في الماهيه والحقيقه فيكون على هذا التقدير حصل الاستواء بينهما في الجحميه والاختلاف في الحقيقه وما به المشاركه غير ما به المخالفه فوجب أن تكون بحجميتها وتحيزها مغايره لتلك الحقائق المخصوصة التى لأجلها حصل الاختلاف .

فإما أن يقال أن الأمور التي حصل بها الاختلاف ذوات والأمور التى حصل بها الاشتراك صفات ، أو العكس فتكون الأمور التي حصل بها الاشتراك وهي الحجميه هي الذوات والأمور التي حصل بها الاختلاف هي الصفات ، وأما أن يقال : أن كل واحد من هذين الاعتبارين مباين عن الآخر لا صفة له ولا موصوف به ، وهذا تقسيم صحيح دائرتين النفي والاثبات فالأول باطل [١] .

---

(١)ويبطل الإمام الرازى هذا القسم بقوله : « والقسم الأول باطل ، لأن الحجمية والمقدار لاشك أنه حاصل فى الحير والجهة ، لأنه لا معنى للمقدار ، إلا الأمر الممتد فى الجهات والأحياز فهذه الحقيقة تكون لا محالة حاصلة فى الأحياز والجهات فإذا قلنا أن هذه الحجمية صفة حالة فى تلك الأشياء التى بها حصل الاختلاف فنقول تلك إما أن تكون حاصلة فى الأحياز والجهات وإما أن لاتكون كذلك ، والقسمان باطلان ، أما الأول فلأنه يلزم منه التناقض لأنه إذا قلنا : الأجسام متساوية فى الحجمية وكانت مختلفة باعتبار آخر فالحجمية التى حصل بها الاستواء تكون لا محالة مغايرة لتلك الأعتبارات التى حصل بها الاختلاف ، وإن كان كذلك فتلك الاعتبارات المتباينة للحجمية وتلك الحقائق المغايرة لها ، وجب أن لا يكون لها فى حد ذاتها حجمية ولا تحيز البته ، فإذا ثبت هذا فنقول : لو حكمنا بكونها حاصلة فى الأحياز والجهات فحينئذ يكون لها امتدادات فى تلك الأحياز وفى تلك الجهات ، فيلزم أن يقال : الشئ الذى ليس له فى حد ذاته امتداد وحجميه ، يكون له فى حد ذاته امتداد وحجمية وذلك يوجب الجمع بين النقيضين وهو محال » .

والقسم الثانى : وهو أن يقال : « أن تلك الأشياء مجردة عن الحصول فى الحيز والجهة مبرأة عن أن تكون بحيث يمكن أن يشار إليها بحسب الحس ، فنقول إن هذا الشئ يمتنع أن تكون الحجمية حالة فيه ، وذلك لأن الحجمية واجبة الحصول فى الحيز المعين وفى الجهة المعينة ، وذلك الشئ ممتنع الحصول فى الحيز المعين ، والجهة المعينة ، وحلول الحجمية الواجبة الحصول فى الجهة والحيز فى الشئ الممتنع حصوله فى الجهة والحيز معلوم الامتناع ببداهة العقول » .

انظر المطالب العالية ج ١ ص ١٧٩ .

وأما الثاني : هو أن يقال :« الحجمية التى بها حصل الاشتراك : ذوات,الأحوال التي بها حصل الاختلاف : صفات . فهذا يفيد المطلوب : لأنه إذا كانت الحجمية هي الذوات القائمة بالنفس وقد ثبت أن الأحجام والمقادير متشاركه في هذه الماهيه ، فحينئذ تكون الذوات متساويه في تمام حقائقها ، وإذا كان كذلك ، امتنع كونها مستلزمة للصفات المختلفة والنعوت المتضادة ، لأن الأشياء المتساويه يمتنع أن يلزمها لوازم مختلفه . بل يجب أن يقال : كل صفه صح حصولها لجسم ، فإنه يصح حصولها في سائر الأجسام وكل صفه خلا عنها جسم ، فإنه يصح خلو سائر الأجسام عنها وأذا كان كذلك فجسم الفلك يصح أن تزول عنه الصفات التي باعتبارها صار الفلك فلكاً ، وتحصل فيه الصفة الأرضية ، وجسم الأرض يصح أن تزول عن الصفه التى باعتبارها كان أرضاً ، وتحصل فيه الصفه الفلكيه وهو المطلوب » .[1]

وأما القسم الثالث فهو باطل [2].

---

(١) المطالب العالية ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) ويبطل الإمام الرازى القسم الثالث أيضا وهو القول : « أن كل واحد من هذين الاعتبارين مباين عن الآخر لاصفة له ولا موصوف به ، باطل لأن خصوص المخالفة بين جسم النار وبين جسم الأرض معلوم بالضرورة فى الأحوال والصفات فالقول بان الجسمية التى بها الاشتراك ، وهذه الصفات التى بها الاختلاف موجودان متباينان لا تعلق لأحدهما بالآخر لا بكونه صفة لـه ولا بكونه موصوف به هو مغاير » .

انظر المطالب العالية ج ١ ص ١٨١ .

وفي موضع آخر يقرر الإمام الرازي كيفية الاستدلال على وجود واجب الوجود بإمكان الصفات فيقول : « الأجسام متساويه في الماهيه والحقيقة ومتى كان الأمر كذلك كان كل صفة أتصف بها جسم أمكن اتصاف سائر الأجسام بها ومتى كان الأمر كذلك افتقر كل واحد من الأجسام في اتصافه بصفته المخصوصة إلى مخصص ومرجح وهذا البرهان مبني على ثلاث مقدمات :

المقدمة الأولى : الأجسام متساويه في تمام الماهية وهذا ما بيناه .

المقدمة الثانية : وهي أن الأجسام لما كانت متماثلة في ذواتها وحقائقها وجب أن يصح على كل واحد منها ما صح على الآخر .

المقدمة الثالثة : وهي أن كل جسم يوجد فلابد له من حيز معين ولابد له من شكل معين ولابد أن يكون صلباً أو رخواً ، فاختصاص كل واحد من الأجسام بصفته المعينه لابد وأن يكون من الجائزات ولابد للجائز من مرجح ومخصص ، فثبت بهذا افتقار جميع الأجسام في أحيازها وصفاتها إلى مخصص ومرجح ثم ذلك المرجح إن كان جسماً افتقر هو أيضاً في حيزه المعين وشكله المعين وصفته المعينه إلى مخصص ومرجح ثم ذلك المرجح ومخصص آخر وهكذا وذلك يفضي إلى التسلسل وهو محال ، فثبت افتقار جميع الأجسام في جميع صفاتها إلى موجود ليس بجسم ولا جسماني وهو واجب الوجود لذاته [١] » .

---

(١) الأربعين ص ٨٦ .

هذا وقد ذكر الإمام فخر الدين حجج القائلين بعدم تماثل الأجسام في تمام الماهيه فقال :

الحجة الأولى : « إن الأجسام لو كانت متماثلة في تمام الماهيه ، لكان تغير كل واحد منها زائد عليه ، وهو محال ، لأن الأجسام لما كانت متساويه في الجسميه وكانت مختلفة في التعين ، ومن المعلوم أن ما به المشاركه غير ما به المباينه فيلزم كون التعينات مغايره لتلك الذوات وهو باطل لأن التعينات مشتركه في كونها تعينات ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بكون ذلك التعين ، فيلزم أن يحصل للتعين تعين آخر ويلزم التسلسل وهو محال » [١] .

ويرد الإمام عليهم بقوله : « لم لا يجوز أن يقال ماهية الجسم وماهية التعين إذا اتصل كل واحد منهما بالآخر صار كل واحد منهما عله لتعين الآخر ؟ وبهذا ينقطع التسلسل » [٢] .

حجة آخرى : « لو كانت الأجسام متساوية في الجسمية لكان اختصاص كل منها بصفته المعينة رجحاناً لأحد طرقي الممكن على الآخر لا لمرجح لأن المقتضى لحصول تلك الصفة لا يمكن أن يكون ذاتاً ، لأن سائر الذوات مساويه لذاته في تمام الماهية مع أن هذه الذوات مختلفة في هذه الصفات ولايمكن أن يكون المقتضي لتلك الصفة المعينة

---

(١) المطالب العالية ج ١ ص ١٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ .

قوة حالة في ذلك الجسم ، لأن الكلام في اختصاص ذلك الجسم ، بتلك القوة كالكلام في اختصاصه بذلك العرض ، فإن كان ذلك لقوة اخرى لزم التسلسل وهو محال » [١] .

ويرد الإمام الرازي على هذا الاحتجاج بقوله : « إن الفلاسفة يقولون كل حاله حاصلة في محل فهي مسبوقة بحصول حالة آخرى ويكون الحالة السابقة تتوجب استعداد المادة لقبول الحاله المتأخره على التعين . أما المتكلمون فإنهم يقولون : الفاعل المختار لا يمتنع أن يخصص بعض الذوات ببعض الصفات لا لمرجح » [٢] .

الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل الاحكام والاتقان :

ويرى الإمام فخر الدين الرازي أن الإحكام والإتقان المشاهدين في السموات والأرض وخاصة في تركيب بدن الإنسان وما فيه من المنافع الجليلة والبدائع الغريبه التى تشهد فطرة كل عاقل بأنها لا تصدر إلا عن تدبيرحكيم عليم وهذه طريقه دالة على ذات الله تعالى العالم الحكيم وهي طريقة من تأملها ورفض عن نفسه المقالات الباطله وجد نفسه مضطرة إلى الاعتراف بإثبات المدبر عند مشاهدة الخلق [٣] .

ويستدل الإمام الرازي بآيات الله تعالى في تأكيده قوة هذا الاستدلال على وجوده جل ثناؤه لأن منهج القرآن في الاستدلال أبين للعقل وأرجح للفكر وأقرب للنفس .

---

(١) المطالب العالية ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(٣) انظر المباحث المشرقية ج ٢ ص ٤٥١ . انظر نهاية العقول : ١١١/ب ، ١١٢/أ ،

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِى تَجْرِي فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحيَا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ لأيَـٰتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ ﴾ [1] .

فيرى الإمام الرازي أن الآيه تدعونا إلى النظر والاستدلال بأحوال السموات والأرض ، وما فيها من أسرار عظيمة وحكم بالغة على وجود خالق مدبر قادر حكيم وهذه الدلائل هي أبين الأدلة ،أصدقها وأقربها للحق واليقين .

والقرآن الكريم مملوء بمثل هذه الآيات الدالة على وجوده سبحانه بالنظر في مخلوقاته المحكمه المتقنه فمن نظر في أحوال السموات ، ومقادير حركاتها وجد أن حركات الأجرام السماويه متساويه متصله ، وأنها لا تبطئ مرة وتسرع أخرى ، وليس لها رجوع عن متوجهاتها ، وهي تتحرك جميعاً من المغرب إلى المشرق - كل هذا يدل على تدبير حكيم ، وتقدير عظيم من إله خالق قادر فسبحان الله الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة غير المتناهية .

لذا استدل الإمام الرازي بأحوال الأفلاك على وجود الله تعالى بوجوه نذكر منها :

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .

أولاً : تقدير ذوات الأفلاك بمقدار معين مع أن العقل يقضي بأن الأزيد منه والأنقص منه جائز فاختصاص كل واحد منها بمقداره المعين لابد وأن يكون بتخصيص مخصص ، وذلك يدل على افتقار خلق السموات والأرض إلى فاعل مختار .

ثانيا : إن هذا الترتيب العجيب في تركيب هذه الأفلاك وأئتلاف حركاتها ، أترى أنها مبنيه على الحكمة ؟ أم هي واقعة بالجزاف والعبث ؟

والثاني باطل وبعيد عن العقل ، فإن من جوز قيام بناء رفيع ، بانضمام التراب والماء وتولدمنهما لبنات صار بها البناء ، قضي عليه بالجنون .

ونحن نعلم أن تركيب هذه الأفلاك وما فيها من الكواكب ومالها من الحركات ليس أقل من ذلك البناء ، فثبت أنه لابد فيها من رعاية الحكمه ، والعقل يقضي بأنه لابد من مدبر قاهر غالب على الدهر والزمان يحركها لأسرار خفيه ولحكم لطيفه هو المستأثر بها والمطلع عليها وليس عندنا إلا الإيمان بها على الإجمال .[1]

قال تعالى :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[2]

---

(١) انظر التفسير الكبير ج ٤ ص ١٨٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٩١ .

أما من نظر في أحوال الأرض فإنه يجد أن الاستدلال بأحوالها على وجود الصانع أسهل من الإستدلال بأحوال السموات ، وذلك أننا نشاهد تغيّرها في جميع الصفات ، أي حصولها في أحيازها وألوانها وطعومها وطباعها ، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن اختصاص كل واحد من أجزاء الأرض بما هو عليه من المكان والحيز والمماسة والقرب من بعض الأجسام ، والبعد من بعضها : ممكن التغير والتبدّل ، وإذا ثبت أن اتصاف تلك الأجرام بصفاتها أمر جايز وجب افتقارها في ذلك الاختصاص إلى مدبر قديم عليم حكيم سبحانه وتعالى عن قول الظالمين [1] .

والإمام فخر الرازي لم يغفل عن آية من آيات القرآن الكريم فيها استدلال على وجود الله تعالى وعظيم قدرته وجليل علمه وكمال اسمائه وصفاته الا وبين وجه الاستدلال فيها تقديساً وتنزيهاً وإجلالاً . ومن آيات القرآن الكريم التى استدل بها الإمام الرازي هي قوله تعالى :

﴿ إن ربكم الله الذي خَلق السمَٰوَٰتِ والأرض في ستة أيام ثم أستوى على العرش يغشي الَّيل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرَٰت بأمره ألا لَهُ الخَلقُ وَالأمرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ العَٰلَمِينَ ﴾ [2] .

---

(١) انظر التفسير الكبير ج ٤ ص ١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ٥٤ .

يقول الإمام الرازي في تفسير الآيه : « أنها بشارة عظيمة للعقلاء ، والمعنى أن الذي يربيكم ويصلح شأنكم ، ويوصل إليكم الخيرات ويدفع عنكم المكروهات هو الذي بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته إلى حيث خلق هذه الأشياء العظيمة ، وأودع فيها أصناف المنافع وأنواع الخيرات ، ومن كان له رب موصوف بالحكمة والقدرة والرحمه فكيف يليق أن يرجع إلى غيره في طلب الخيرات وتحصيل السعادات »[1] .

أما قوله جل ثناؤه :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَ ٰتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استَوَى عَلَى العَرشِ يُدَبِّرُ الأَمرَ مَامِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعدِ إِذنِهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم فَاعبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

فيرى الإمام أن الآيه تدل على أن الله تعالى خالق للسموات والأرض في سته أيام وأنه مستوٍ على عرشه وهذا يدل على نهاية العظمة وغاية الجلال ، ثم أتبعها بهذه الجملة ليدل على أنه لا يحدث في العالم ولا في العالم السفلي أمر من الأمور ولا حادث من الحوادث إلا بتقديره وتدبيره وقضائه وحكمه ، فيصير ذلك دليلاً على نهاية القدرة والحكمة والعلم والأحاطة والتدبير وأنه سبحانه وتعالى مبدع جميع الممكنات وإليه تنتهي الحاجات »[3] .

---

(١) انظر التفسير الكبير ج ٤ ص ١٠١ .

(٢) سورة يونس : آية ٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير ج ١٧ ص ١٤ .

هذا كما يرى الإمام فخر الدين الرازي أن كثرة الدلائل في معرفة الآله المدبر الحكيم من أهم المهمات وإن كانت إقناعية لأنهالكثرتها قد تنتهي إلى إفادة القطع ، فالجدل قد يقوم مقام البرهان في إفادة اليقين .وأولى المواضع برعاية الاحتياط فيه ، والمبالغة في التقرير ، وإزلة الشكوك ، والشبهات : معرفة الله تعالى . فالدلائل الظاهرة الجلية المتبادرة إلى الأفهام تساعد على توثيق العلم واليقين بالدلائل العقلية ، فمن الآثار التى ذكرها الإمام الرازي : ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : لعمران بن الحصين : « كم لك من إلـه » ؟ قال : عشرة قال : فمن لنعمك وكرمك والأمر العظيم الذي ينزل بك ؟ قال الله تعالى فقال : عليه السلام : فمالك من إلـه إلا الله » .

وأيضاً من الآثار أن أبا حنيفه كان سيفاً على الدهريه وكانوا ينتهزون الفرصة في قتله فبينما هو قاعد في مسجده يوماً إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم : أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم ، فقالوا : هات . فقال : ما تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة من الأثقال ، قد احتوتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهي في هذه الأحوال تجري مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يحفظها . هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا لا هذا شئ لا يقبله العقل . فقال : أبو حنيفة يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير متعهد ولا حافظ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبكوا جميعاً ، وقالوا صدقت .

المبحث الثانى :

الاستدلال على وجود الله تعالى عند شيخ الإسلام ابن تيمية

المبحث الثاني

الاستدلال على وجود الله تعالى عند شيخ الإسلام ابن تيمية

اعتمد شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في منهجه الاستدلالى لإثبات وجود الله تعالى وتوحيده على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، فكان القرآن الكريم والسنة الهادية هما النبع الصافي الذي استقى منه الإمام ابن تيميه عقيدته وفكره وإيمانه . فقد جاء الرسول ﷺ يقيناً بالحق المبين والهدي الأمين ، فمن أراد العلم والإيمان فلينظر فيهما ، ويتعلم منهما ، ويفكر فيهما ، ويستدل بهما ، فيصل إلى الحق واليقين .

لكن عصر شيخ الإسلام ابن تيميه اضطره إلى الخوض في الجدل العقلي ، والبرهان الفلسفي ، والرد عليهم ونقدهم بأساليبهم المنطقية ، ومذاهبهم الكلامية دون أن يخرج عن أصول مذهب السلف فقد بين دلالة الشرع العقلية والنقلية وبين دلالة العقل الكلامية الفلسفية ، وأكد أن دلالة القرآن الكريم شرعية عقلية ، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها ، وهي عقلية لأنها تعلم صحتها بالمعقول الصريح الذي يعرفه الناس بفطرهم ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (١) .

---

(١) سورة الكهف :آية ٥٤ .

فشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله يحترم العقل ويعرف قدره وقدرته على فهم نصوص الكتاب الكريم والسنة الهادية وإدراك مراد الله منها إدراكاً صحيحاً وفهماً عميقاً فالعقل يدرك الأمور الحسية المشاهدة ، ويتوصل بمعرفتها إلى الحق واليقين . أما الأمور الغيبيه فيحتاج إلى من يرشده ويدله إلى معرفتها وليس ذلك الدليل المرشد الهادي إلا كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة الهادي المصطفى ﷺ بأدلتهما اليقينية القطعية ، لذا جاء في الأثر : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته » [1].

فمنهج شيخ الإسلام ابن تيميه في إثبات وجود الله تعالى يعتمد على الاستدلال النقلي أولاً ثم العقلي ثانياً : كما يؤكد أن دلالة الفطرة على وجود الله تعالى هي الأصل الذي يكمل بالشريعة أي بالدلائل النقلية اليقينية ثم العقلية الشرعية القطعية .

دلالة الفطرة :

ذهب شيخ الإسلام ابن تيميه إلى أن معرفة الله تعالى أمر فطري وأن كل مولود يولد على الفطرة التى خلق عليها في معرفة ربه عز وجل ، والشواهد على ذلك كثيرة نقلية وحسية ، فالله سبحانه وتعالى خلق الفطره في النفس . والتي يكون بها معرفة الحق والتصديق به ، ومعرفة الباطل والتكذيب به ، فما كان حقاً موجوداً صدقت به الفطرة

---

(١) سبق تخريجه .

وأحبته واطمأنت إليه وذلك هو المعروف ، وماكان باطلاً معدوماً كذبت به القطرة وأبغضته وأنكرته [١] .

فجميع القلوب مفطورة مقرّة خاضعة مستسلمة لله الخالق القادر العظيم المهيمن مالك الملك ، ويكون هذا الإقرار والخضوع لله حسّياً وذلك بما يستشعره الناس من فقرهم وحاجتهم إلى الالـه الخالق القادر ، وبدعائهم إياه عند نزول المحن والشدائد ، وخضوعهم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقدار الله تعالى ومشيئته .

لذا يرى شيخ الإسلام أن وجود الفطرة الإيمانية بالله تعالى وتوحيده مستقره في القلوب ، موقنة بالله الخالق القادر الحكيم ، وليس هناك حاجة إلى الاستدلالات العقلية على وجوده سبحانه وتعالى ، لأنها لو لم تقر وتؤمن بالله تعالى بدون هذه الدلائل لم تعلم أن هذا الدليل يدل عليه ، فيكون الدليل لله تعالى دالاً عليه سبحانه ، مثل كون الاسم يدل على المسمّى فلابد أن يكون قد تصور المسمى قبل ذلك وعرف أن هذا اسم لهذا المسمى الذي تصوره ، فكذلك هذا الدليل على هذا يقتضي تصور المدلول عليه ، وتصور أنه دليل مستلزم له ، فلابد في ذلك أن يعلم أنه مستلزم للمدلول ، فلو لم يكن المدلول متصوراً لم يعلم أنه دليل عليه فمعرفة الاضافة متوقفة على تصور المضاف والمضاف إليه ، ولكن قد لا يكون الإنسان عالماً بالاضافة ولا كونه دليلاً فإذا تصوره عرف المدلول إذا عرف أنه مستلزم له ، والناس

---

(١) انظر الفتاوى ج ٤ ص ٣٢ .

يعلمون أن هذه المخلوقات آيات ودلائل للخالق فلابدّ أن يكونوا يعرفونه ، حتى يعلموا أن هذه دلائل مستلزمة له [١] .

فالقرآن الكريم بمنهجه القويم الرباني جاء بالطرق العقلية والفطرية وجمع بينهما ، فالعقل والشرع متفقان والفكر والسمع متلازمان ، فالله سبحانه وتعالى قد أخذ العهد والميثاق على عباده بمعرفة ربوبيته أزلاً قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُواْ : بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [٢]

فميثاق من الله تعالى وإقرار من خلقه على ربوبيته ووحدانيته قال جل ثناؤه :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]

أي بمعنى : أمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة الإسلام [٤].

---

(١) انظر الفتاوى ج ١ ص ٤٩ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٧٢ .

(٣) سورة الروم : آية : ٣٠ .

(٤) مجموع الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٣٣٦ .

واختلف الناس هل معرفة الخالق فطرية أم نظرية فبين شيخ الإسلام أن هذا الأمر لابدّ له من توضيح فالصحيح أن معرفة الله تعالى الخالق فطرية لأنه ثبت ذلك من الكتاب والسنة بأدله نقلية قطعية ومشاهدات حسية قال تعالى :

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء ... هل ترون فيها من نقص ؟ » (٢).

أما إذا عرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذ إلى النظر والاستدلال ،فمعرفة الله تعالى في الأصل فطرية وقد تكون نظرية عندما تُغطى الفطرة ، كما يرى شيخ الإسلام ابن تيميه أن الفطرة إذا فسدت قد تحتاج إلى معارف ضرورية تجلى الفطرة وتزيل عنها الغشاوة وتصفية النفس من أعظم الأسباب في حصول هذه المعرفة الضرورية ، فكون هذا العالم لابدّ له من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري بل هو معلوم عقلاً وواجب عقلاً وقد أركزه اللّه تعالى في فطرة مخلوقاته فبهذه تكون معرفة الله تعالى فطرية ولكن الفطرة حين تغطى يمكن صقلها وتهذيبها بالدلائل الضرورية وتصفية النفس قال جل جلالة :

---

(١) سورة إبراهيم : آية : ١٠ .

(٢) حديث متفق عليه رواه البخارى فى الجنائز ج ٢ ص ٩٧ ، ومسلم فى القدر ج ١٦ ص ٢٠٧ .

﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُم تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [(١)].

فالمشركون مقرون بأن الله تعالى وحده هو خالقهم وخالق السموات والأرض وما فيهما و وهو المالك المدبر المهيمن على جميع المخلوقات وذلك ما فطروا عليه وجبلوا حيث أنهم إذا شاهدوا شيئا من الحوادث كالبرق والرعد والزلازل ذكروا الله تعالى وسبحوه [(٢)].

وشريعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتى بعثوا بها جاءت لتكميل الفطره الإيمانيه وتقريرها ، لا بتبديلها وتغييرها [(٣)].

الدلائل الشرعية :

يكثر شيخ الإسلام من ذكر دلائل القرآن الكريم والتي تثبت أن الله تعالى خالق الأكوان ومدبرها تأكيداً وتوثيقاً لما استقر في فطر الخلق من الإيمان بالله الخالق المدبر رب العالمين ، ويستشهد بقول الإمام أحمد بن حنبل : « معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد ، وهذا يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم إنها تزيد وتتمكن بتظاهر الأدله » [(٤)].

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ٨٤ - ٨٩ .

(٢) موافقة صحيح المنقول ج ٢ ص ١٦١ .

(٣) انظر مجموع الرسائل والمسائل ج ٤ ص ١٤٣ .

(٤) مجموع الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٤٤ .

وهذا ما يذهب إليه شيخ الإسلام في منهجه الاستدلالي الذي يثبت به معرفة الله تعالى وجوداً وكمالاً وتقديساً فوجود الفطره أصل في المعرفة والدلائل النقليه والعقليه تزيد الإيمان واليقين به جل شأنه .

قال تعالى :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [١]

وقال جل ثناؤه :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٢]

وقال تباركت أسمائه وتقدست ذاته :

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَـٰلِقُونَ ﴾ [٣]

فالانسان يعلم ضرورة أنه لابد من خالق قدير لأنه من المحال أن يخلق من غير خالق أو أنه يخلق نفسه ولو تفكر الإنسان في خلق نفسه والحال التى انتقل إليها من نطفة إلى علقة إلى مضغة ثم جنين ثم غلام ثم إنسان متكامل لتيقن عن وجود الآلـه الخالق القادر سبحانه ، قال تعالى :

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٤]

وجاء رجل إلى أبي حنيفه فقال : ما الدليل على الصانع ؟ قال : أعجب دليل النطفه التي في الرحم ، والجنين في البطن يخلقه الله في ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة .

---

(١) سورة الطارق : آية : ٥ - ٦ .

(٢) سورة الغاشية : آية : ١٧ .

(٣) سورة الطور : آية : ٣٥ .

(٤) سورة الذاريات : آية : ٢١ .

قال جل جلاله :

﴿ الَّذِيَ أَحْسَنَ كُلَّ شَئٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [(١)]

فتظهر هنا القدرة الآلهية التى تبهر العقول . وهي قلب حقائق الموجودات من شئ إلى شئ آخر فالإنسان مخلوق خلقه الله تعالى من الطين ، فقلب حقيقته من الطين فجعلها عظماً ولحماً وغير ذلك من أجزاء البدن ، وكذلك الماء المهين ، فالمني الذي في الرحم يقلبه علقة ثم مضغة [(٢)] .

قال تعالى :

﴿ أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الخَلَّاقُ العَـلِيمُ ﴾ [(٣)] .

فمن المعلوم ببداهة العقول : أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس ، والقدره عليه أبلغ ، وأن هذا الأيسر أولى بالخلق والحدوث والقدرة .

كما أن المتدبر للقرآن الكريم وآياته بقلب سليم ، وعقل حكيم وتأمل دلائل الكون وموافقتها للمنهج القرآني امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً بوجود الله تعالى الخالق الجليل والآله العالم الحليم والرب المبدع الرحيم .

---

(١) سورة السجدة : آية : (٦ - ٧ - ٨) .

(٢) انظر الفتاوى جـ ١٧ ص ٢٥٠ .

(٣) سورة يس : اية : ٨١ .

فتناسق الآيات نقلاً ومشاهدة يؤكد ما فطر عليه الناس من وجود رب خالق رزاق قادر ، خلق جميع المخلوقات بحكمته ، فهو سبحانه أحسن كل شئ خلقه وأتقن كل ما صنعه قال جل ثناؤه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَإِخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَٰبِ ﴾ [١].

فالله عز وجل خلق جميع الموجودات ، وسخرها للإنسان فالمتأمل في الكون يرى أن جميع الكائنات موافقه لوجود الإنسان .

والحيوان والنبات والجماد والمطر والسحاب المسخر بين السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر ، والقرآن ملئ بهذه الدلائل المؤكده لوجود الخالق القادر الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في الملك والخلق .

قال جل شأنه :[٢]﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ إِثْنَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِن فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعقِلُونَ ﴾ [٣].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٩٠ .

(٢) انظر الفتاوى ج ١٧ ص ٩٩ .

(٣) سورة الرعد : آية : (٣ ، ٤)

وقال سبحانه :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ﴾ [١].

الدلائل العقليـة :

يرى شيخ الإسلام ابن تيميه أن العلم بالأمور الآلهيه والمعارف الدينيه تؤخذ من الرسول ﷺ فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها ، وأقدرهم على بيانها وتعريفها ، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة ، لأن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليعقلوه ، ويتدبروا معانيه ويتعبدوا بما فيه ، وما جاء الرسول ﷺ إلا لتبليغ ما أرسله الله به ، وبيانه للناس ، لذلك كان من العلم الآلهي والهدي النبوي ما لا يعلم الا بالأدلة العقلية ، وأحسن الأدلة العقلية هي التي بينها القرآن وأرشد إليها الرسول ﷺ فهي أكمل وأجلّ وأفضل الدلائل العقلية الهادية إلى الحق ، و منه ما لا يعلم إلا بخبر الأنبياء وهو الدليل السمعي . مثل الأمور الغائبة عن حواسنا وإدراكنا مثل العلم بالله تعالى وصفاته ، والملائكة والعرش ، والجنة والنار ، وتفاصيل ما يؤمر به وينهى عنه [٢] . مما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق لصريح المعقول ، وأن ما بينه من الآيات والدلائل والبراهين

---

(١) سورة الفرقان : اية : ٦١ .

(٢) انظر الفتاوى ج ١٣ ص (١٣٥ - ١٣٨) .

العقلية في إثبات الصانع سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله هو فوق نهاية العقول ، وأن خيار ما عند حذاق الأولين والأخرين من الفلاسفة والمتكلمين هو بعض ما في منهج النبوة والرسالة الألهية [١] .

فمنهج شيخ الإسلام ابن تيمية لا يخرج عن أصول منهج القرآن والسنة وإن تكلم بأساليبهم ، لذا يقول في إستدلاله على وجود الله تعالى بالدلائل العقليه والبراهين المنطقيه : « إن إثبات الموجود الواجب الغني الخالق ، وإثبات الموجود الممكن الفقير المخلوق : هو من أظهر المعارف وأبين العلوم » [٢] . وبين شيخ الإسلام ابن تيميه : أن الحدوث هو الوجود بعد العدم أو العكس ، وأن هذه الأمور المحدثه ، والتى نشاهدها في حياتنا ونبصرها بحواسنا ... كالحيوانات والنباتات والمعادن ، وما بين السماء والأرض من السحاب والمطر والرعد والبرق وحركات الكواكب ، والليل والنهار والنجوم والشمس والقمر ، كلها موجودات قد سبقها عدم أو بعضها بعدم بعد الوجود ، أو قد تغيب ثم تظهر وهذا دليل على إفتقارها وإحتياجها إلى موجد يوجدها بعد العدم أو بعدمها بعد الوجود ، فكل حادث لابد له من محدث ... قضية كلية ضروريه تؤكد بداهتها الحوادث المعينه وإحتياجها إلى محدث يهب لها الوجود يقول شيخ الإسلام : « معلوم أن المحدثات لابد لها من محدث والعلم بذلك ضروري ، ولابد من محدث لا يكون محدثاً ، وكل محدث ممكن والممكنات لابد لها من واجب وكل محدث وممكن فقير مربوب مصنوع ، والمفتقرات لابد لها من غني ، والمربوبات لابد لها من بر والمخلوقات لابد لها من خالق » [٣] .

---

(١) موافقة صحيح المنقول ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٣) المرجع السابق .

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية
من الإمام الرازي

المبحث الثالث
موقف شيخ الإسلام من الإمام الرازي

ذهب شيخ الإسلام رحمه الله إلى وجوب الإيمان الكامل بكل ما يقوله الرسول ﷺ ، فكل ما ثبت أن الرسول ﷺ قاله : فهو حق وصدق ، لأنه لا يقول على الله إلا الحق ، وما تنازع فيه الناس من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهو والعرض وأمثال ذلك ، فليس لأحد أن يأخذ بها حتى يفهم معناها ، فإن أريد بها معنى صحيح يثبت به أمراً أو ينفيه ، ويكون موافقاً لقول الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ... كان ما أراده حقاً ، وإن أريد به أمر مخالف لقوله ﷺ ، كان ما أراده باطلاً .

لذا يرى شيخ الإسلام أن الطرق الكلامية والدلائل العقلية التى سلكها الإمام الرازي ، ولم يخبرنا بها الرسول ﷺ أو نص عليها الشرع فهي وإن كانت في بعض الاستدلالات صحيحة إلا أنها طويلة وصعبة وبعض لوازمها باطلة ، كاستدلاله على حدوث العالم بحدوث الأجسام، ويستدل على حدوث الأجسام بحدوث ما قام بها من الأعراض مطلقاً أو بالحركات ، وأن ذلك مبنى على امتناع حوادث لا أول لها، وذلك يستلزم نفي الأفعال القائمة بذات الله تعالى المتعلقه بمشيئته واختياره بل يستلزم نفي بعض الصفات ، ومما يؤيد بطلان استدلالاتهم اختلافهم وتنوع طرقهم التى سلكوها في اثبات واجب الوجود ، وكل منهم يرى أن طريقته الصواب ، ولا طريق إلى الاثبات غيرها فالطرق التى سلكها الرازى متناقضة ، فهو تارة يأخذ من الفلاسفة أقوالهم ، وتارة من المتكلمين على اختلاف مذاهبهم وتنوعها ، ووقد حاول الجمع بينهما ولم يوفق ، فقال في النهاية : اعلم ان الاستدلال على مالايعلم بالضرورة انما يكون مما يعلم بالضرورة : والمعلوم بالضرورة الاجسام

والاعراض القائمة بها، وكل منهما إما أن يعتبر إمكانه أو حدوثه فالاجرم كانت الادلة الدالة على الصانع تعالى هذه المسالك الأربعة

فسلك **المسلك الأول** : وهو الاستدلال بحدوث الاجسام لقيام الاعراض بها أو بعضها بها ، وهذه هى طريقة الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، وقد ذكر أبو الحسن الأشعرى انها طريقة الفلاسفة وأنها مبتدعة مذمومة في الدين وأنه لا حاجة إليها ، وقد بين شيخ الإسلام بطلان هذا المسلك بقوله : « وهذا الاعتراض ليس على اثبات واجب الوجود فانه حق ولكن على هذا الطريق ، حيث اثبت ذاتاً ممكنة مع كونها عنده قديمة أزلية ، ولا يحتاج اثبات واجب الوجود إلى هذه الطريقة »[١] .

أما المسلك الثاني : وهو الاستدلال بإمكان الاجسام ، فيقول شيخ الإسلام : « هذه طريقة ابن سينا ومن وافقه .. وهى مبنية على أصلهم الفاسد في التوحيد ونفى الصفات .. وهى طريقة التركيب الذي يقولون : ان المتصف بالصفات مركب والمركب مفتقر إلى اجزائه »[٢] .

وكان **المسلك الثالث** في الاستدلال على وجود الله تعالى بإمكان الصفات سواء كانت الاجسام واجبة أو ممكنة قديمة أو حادثة .

ويرد شيخ الإسلام على هذه الحجة بقوله : « وهذه الحجة مبنية على تماثل الاجسام وهو باطل »[٣] .

أما **المسلك الرابع** : وهو الاستدلال بحدوث الصفات والاعراض ذكر فيها الرازى قوله : « الفرق بين الاستدلال بإمكان الصفات والاستدلال بحدوثها ان الأول يقتضى ان لا يكون الفاعل جسما ، والثاني لا يقتضى ذلك » .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٢) درء التعارض : ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٣) المرجع السابق .

فأكد بذلك أنه لا يستدل بالحدوث نفسه بل يجعل الحدوث دليل على الإمكان : فيقول الممكن لابد له من مرجح ، وهذا الإمكان الذي يثبته هو الإمكان الذي يثبته ابن سينا وهو الإمكان الذي يشترك فيه القديم والحادث ، فجعل القديم الازلى ممكنا يقبل الوجود والعدم ، فقد خالفوا بذلك سائر العقلاء من اسلافهم فجميعهم متفقون على ان الممكن الذي يقبل الوجود والعدم لا يكون إلا حادثاً [١] .فإن كان هذا المسلك هو الاستدلال بحدوث الصفات صحيحاً في نفسه إلا ان الرازى قصد في الاستدلال به ، حيث رد ذلك الحدوث إلى الإمكان .

وبعد ان بين شيخ الإسلام بطلان الطرق العقلية التى سلكها الرازى ذكر الطرق الصحيحة في الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل الحدوث والإمكان فيقول : « والموجود إما غنى عن كل ماسواه ، وإما مفتقر إلى غيره ، والفقير إلى غيره لابد له من غنى بنفسه ، فعلم ثبوت الغنى بنفسه على التقديرين »[٢] .وبين شيخ الإسلام ابن تيمية : « ان القرآن العزيز ذكر خلق الله تعالى لما خلقه من الجواهر التى هى اعيان قائمة بأنفسها مع مانشهده من احداث الصفات والاعراض والاستدلال بذلك على الخالق سبحانه وجعل ذلك من آياته هو مما بينه القرآن » [٣] .

ففي منهج القرآن والسنة منهج أهل السنة والجماعة مايغنى عن الاستعانة بأصول الفلاسفة ودلائلهم في اثبات عقائدنا الإيمانية وخاصة في الالهيات .

---

(١) دره التعارض : ج ٧ ص ٢٣٢ .

(٢) موافقة صحيح المنقول ج ٢ ص .

(٣) دره التعارض : ج ٧ ص ٢٣٤ .

الفصل الثالث

توحيد الله تعالى

تمهيد :

المبحث الأول :

مذهب الإمام فخر الدين الرازي في إثبات وحدانية الله تعالى .

المبحث الثاني :

مذهب شيخ الإسلام في إثبات وحدانية الله تعالى .

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام الرازي في إثبات وحدانية الله تعالى .



الفصل الثالث

توحيد الله تعالى

تمهيد :

توحدت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكان التوحيد أساس دعوتهم إليه جل شأنه ذاتاً ووصفاً وعبادة . والكتب الربانيه مؤكدة ذلك مليئة بالنصوص التي تدل على وحدانية الرب الخالق والآله المعبود .

فسور القرآن الكريم وآياته متضمنة للتوحيد بأنواعه شاهدة له داعية إليه عقلاً ونقلاً لأن الناظر في جمال الكون وروعة صنعه وبديع إتقانه وكمال تناسقه . لا بد أن يشهد بوحدة بارئها ومبدعها وخالقها لذا أتفق العقلاء جميعاً من فلاسفة ومتكلمين وسلفيين على توحيد الله تعالى الخالق المعبود . وانما أختلفوا في تحديد مفهوم وحدانية الله تعالى .

فذهب الفلاسفة إلى أن توحيدالله تعالى مبني على نفي التركيب والتجسيم وإثبات أنه واحد من كل وجه فأدى بهم هذا إلى إنكار صفات الكمال لأنها بزعمهم تقتضي التركيب أو الجسميه ، فالتركيب يعني التعدد من الأجزاء المركبة منها ، والجسم يقتضي الاحتياج إلى لوازمه من تحيز وجهه .

أما المتكلمون فقد جعلوا أساس توحيدهم لله تعالى مبنى على دليل التمانع الذي يقتضي إثبات توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الآلوهية .

أما السلف الصالح فإنهم رآوا أن توحيد الربوبية فطري ليس فيه إختلاف بين الخلق جميعاً وإنما توحيد الآلوهية المتضمن لتوحيد الربوبية هو الهدف فأعتمدوا في مذهبهم لإثبات توحيد الله تعالى على دلائل القرآن العظيم الشرعية والعقلية ، وكان منهجهم في إثبات التوحيد هو إثبات صفات الكمال لله تعالى جميعها والشامله لتوحيد الربوبيه والآلوهية وهي كون الله تعالى رباً منعماً خالقاً مالكاً مدبراً مستحقاً لكل كمال الألوهيـة لكمال العبودية له وحده لا شريك له سبحانه وتعالى .

المبحث الأول :

مذهب الإمام
فخر الدين الرازى في
اثبات وحدانية الله تعالى

المبحث الأول

اثبات وحدانية الله تعالى عند الإمام فخر الدين الرازي

يرى الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله أن الله جل ثناؤه أرسل رسله وأنبياءه لإثبات وحدانيته تعالى والدعوة إليه رباً خالقاً وإلـهاً معبوداً لا شريك له فيجب توحيد الله تعالى في ذاته واسمائه وصفاته وافعاله ، وهذا ما أكده في تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [١] .

إذ يقول : « إن الوحي الوارد على هذه السنن يوجب أن تخلصوا التوحيد له وأن تتخلصوا من نسبة الأنداد »[٢] .

كما يذكر الإمام الرازي أن المقصود الأعظم من القرآن الكريم هو تقرير التوحيد ، وقد بين ذلك في تفسير معظم الآيات الداله على إثبات التوحيد والدعوة إليه ، لذا قال في تعريف الإسلام : « إن المقصود من الدين إنما هو الوفاء بلوازم الربوبيه فإذا أسلمت وجهي لله فلا أعبد غيره ولا أتوقع الخير إلا منه ولا أخاف إلا من قهره وسطوته ، ولا أشرك به غيره كان هذا هو تمام الوفاء بلوازم الربوبيه والعبوديه ، فصح أن الدين الكامل هو الإسلام » [٣] .فتوحيد الله تعالى يقتضي توحيده في الربوبيه والعبودية وفي الاسماء والصفات وبيان ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء : آية : ١٠٨ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٢ ص ٢٣٢ .

(٣) التفسير الكبير : ج ٧ ، ص٢١١ .

﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾

يقول الإمام الرازي « إنه يدل على الكل لأن كونه قيوماً يقتضي أن يكون قائماً بذاته وأن يكون مقوماً لغيره ، وكونه قائماً بذاته يقتضي الوحدة بمعنى نفي الكثرة في حقيقته ، وذلك يقتضي الوحده بمعنى نفي الضد والـند ويقتضي نفي التحيز وبواسطته يقتضي نفي الجهة ، وأيضاً كونه قيوماً بمعنى كونه مقوماً لغيره يقتضي حدوث كل ما سواه جسماً كان أو روحاً أو عقلاً أو نفساً ويقتضي استناد الكل إليه وأنتهاء جملة الأسباب والمسببات إليه وذلك يوجب القول بالقضاء والقدر »[1] .

---

(١) التفسير الكبير : ج ٧ ، ص ٥

دلائل وحدانية الله تعالى

دليل التمانع :

هو من أقوى دلائل المتكلمين لإثبات وحدانية واجب الوجود بذاته عقلاً .

يقول الإمام فخر الدين الرازي : « القول بوجود إلاهين يفضي إلى المحال ، فوجب أن يكون القول بوجود إلاهين محالاً وذلك : إنا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تحريك زيد وتسكينه ، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه ، فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين ، أو لا يقع واحد منهما ، وهو محال ، لأن المانع من وجود مراد كل منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس ، فلو أمتنعا معاً لوجدا معاً وذلك محال ، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وذلك محال أيضاً لوجهين :

أحدهما : أنه لو كان كل واحد منهما قادراً على مالا نهايه له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح .

الثاني : أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادراً والذي لا يقع مراده يكون عاجزاً ، والعجز نقص في حق الألـــه وهو محال ، وهذه حجة تامه في مسألة التوحيد .

فالقول بوجود الآلهين يفضي إلى إمتناع وقوع المقدور لواحد منهما وإذا كان كذلك وجب أن لا يقع البته وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً »[١] .

هذا على تقدير أن الإلهين مختلفين في إرادتهما ،سواء كان هذا الأختلاف واجبا أو جائزاً ، أما أن أتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال لأنه يلزم إجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فإن قبل لم لا يجوز ان يتفقا على الشئ الواحد ولا يلزم الفساد ، لأن الفساد إنما يلزم لو أراد كل واحد منهما أن يوجده هو ، وهذا اختلاف .

أما إذا أراد كل واحد منهما أن يكون الموحد له أحدهما بعينه فهناك لا يلزم وقوع مخلوق بين خالقين ، قلت كونه موجداً له إما أن يكون نفس القدره والإرادة أو نفس ذلك الأثر أو أمراً ثالثاً .فإن كان الأول لزم الاشتراك في القدرة والإرادة،والاشتراك في الموجد « فيمتنع أن لا يقع بواحد منهما لأن المانع من وقوعه بهذا ليس إلا وقوعه بذاك وبالضد »[٢] .

وإن كان الثاني فليس وقوع ذلك الأثر بقدرة أحدهما وأرادته أولى من وقوعها بقدرة الثاني « لأنهما لما أستويا في التأثير وفي القوة كان وقوعه بأحدهما دون الآخر رجحاناً لأحد طرفي الممكن على

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) المطالب العالية : ج ٢ ، ص ١٤٥ .

الآخر لا لمرجح وهو محال » (١) ، وان كان الأمر الثالث ، وهو أن يكون الموجـد له أمراً ثالثاً . فإن كان قديماً أستحال كونه متعلقاً بالإراده ، وإن كان حادثاً فهو نفس الأثر فيلزم رجحان أحدهما على الآخر لا لمرجح » (٢) .

ولم يكتف الإمام الرازي بتوضيح دليل التمانع عن طريق إثـبات القـدرة والإراده بل أكـده بامتنـاع وجـود إلـهين عالمين بكل المعلومات « لأن هذا يقتضي أن يكون علم كل واحد منهما متعلقاً بعين ما تعلق بـه علم الثاني . فثبت أن كل واحد من هذين العلمين يصح قيامه بكل واحد منهما بدلاً عن الآخر . وإذا كان الأمر كذلك كان إختصاص هذه الذات بهذا العلم دون الذات الأخرى بوجب ان يكون بتخصيص مخصص وكل ماحصل بالفاعل كان حادثا فلزم أن يكون علم الله محدثا وأن تكون قدرته محدثة وكل ماكان كذلك امتنع كونه اله فيثبت أن القول بوجود الآلهين يفضى إلى هذه المحالات فوجب أن يكون محالاً » (٣) .

هذا وقد ذهب الإمام الرازي في إثبات وحدانية الله تعالى بالاستشهاد بالنصوص القرآنيه ، وبين أنها أرشدت إلى توحيد الإلـه ونفث الاضداد والانداد في الألوهيه والربوبيه ، كما أنه أكد أن الإلـه هو المألوه الذي يستحق العبادة وحده لجلاله وقدرته وتفرده بالربوبيه ، فربط بين الربوبيه والعبوديه في تفسير معظم الآيات القرآنيه الدالة على توحيد الله تعالى .

---

(١) المرجع السابق

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) المطالب العاليه : ج ٢ ، ص ١٤٦ .

اثبات وحدانية الله بالدلائل السمعية

يبين الإمام فخر الدين الرازي ان معظم الآيات القرآنيه جاءت لإثبات توحيد الله ونفي الشريك والمثيل لله تعالى في ذاته وصفاته وربوبيته وآلوهيته .

قال تعالى :

﴿ لَو كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [١] .

يرى الإمام الرازي أن هذه الآية تدل على توحيد الله تعالى عقلاً ونقلاً لأنها مؤكده صحة دليل التمانع لفظاً ومعنى . فلو حرف امتناع لامتناع فعدم وجود الفساد في الكون يقتضي عدم وجود آله مع الله تعالى فهو وحده لا شريك له في ملكه وخلقه .

وبين الرازي أقوال النحاة في الآية والمعنى المراد من الاستثناء فقال : « إن أهل النحو قالوا أن إلا هنا بمعنى غير أي لو كان يتولاهما ويدبر أمورهما شئ غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا ، ولا يجوز ان يكون إلا بمعنى الأستثناء لأنا لو حملناه على الاستثناء لكان المعنى . لو كان فيهما آلـهه ليس معهم الله لفسدتا ، وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلـهه معهم الله لا يحصل الفساد وذلك باطل لأنه لو كان فيهما آلـهه سواء معهم الله أو ليس معهم فالفساد لازم » [٢] .كما أنه جعل الآية دليلاً على إثبات توحيد الربوبية .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٢ .

(٢) التفسير الكبير : ج ٢٢ ، ص ١٥٠ .

أما ما جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[١] .

وبيان دلالة الآيه على توحيد الله تعالى : يقول ابن الخطيب : ان لفظ إلهين واحد يدل على أمرين :

ثبوت الآله **وثبوت التعدد**

فإذا قيل : لا تتخذوا إلهين ، لم يعرف من هذا اللفظ ان النهي وقع عن إثبات الآله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما ، فلما قال تعالى :

﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾

ثبت ان قوله :

﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ ﴾

نهي عن إثبات التعدد فقط .

والاثنينيه منافيه للالهية : وتقرير ذلك من وجوه - فذكر منها -

الأول : أنا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين في التعين وما به المشاركة غير ما به المباينه ، فكل واحد منهما مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن فثبت ان القول بأن واجب الوجود أكثر من واحد ينفي القول بكونهما واجبي الوجود .

---

(١) سورة النحل : آية ٥١ .

الثاني : أنا لو فرضنا إلهين وحاول أحدهما تحريك جسم والآخر تسكين امتنع كون أحدهما أولى بالفعل من الثاني لأن الحركة الواحدة والسكون الواحد لا يقبل القسمة أصلا ولا التفاوت أصلا واذا كان كذلك امتنع ان تكون القدره على أحدهما أكمل من القدرة على الثاني واذا ثبت هذا امتنع كون إحدى القدرتين أولى بالتأثير من الثانية واذا ثبت هذا فإما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال . فحينئذا يكون كل واحد منهما عاجز والعاجز لا يكون إلهاً فثبت أن كونهما إثنين ينفي كون كل واحد منهما إلها » .

الثالث : وهو أن أحدهما إما ان يقوى على مخالفة الآخر أو لا يقوى عليه فإن لم يقو عليه فهو ضعيف وإن قوي عليه فذاك الآخر إن لم يقو على الدفع فهو ضعيف وان قوي عليه فالأول المغلوب ضعيف فثبت ان الإثنينية والالهية متضادتان فقوله تعالى :

﴿ لا تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾

المقصود منه التنبيه على حصول المنافاة والمضادة بين الإلهية والاإثنينيه »[1] .

ويتابع الرازي في بيان معنى التوحيد الآية وأنها دليل على توحيد الربوبيه المستلزم لتوحيد الإلهيه ، فبعد ذكر الدلائل على إثبات الآله الخالق للعالم ، واثبات وحدانيته ونفي التعدد ، أثبت أنه هو الآله الواحد الأحد الحق الصمد وهذا ما جاء في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ واحِدٌ ﴾

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢٠ ، ص ٤٨ .

أما قوله تعالى :

﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

فهذا رجوع من الغيبه الى الحضور والتقدير أنه لما ثبت أن الإلـه واحد وثبت ان المتكلم بهذا الكلام إلـه ، فحينئذ ثبت آنه لا إلـه للعالم إلا المتكلم بهذا الكلام فحينئذ يحسن منه ان يعدل من الغيبه الى الحضور ويقول :

﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

وفيه دقيقة أخرى وهي أن قوله تعالى :

﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾

فيه حصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه وان لا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه ، وذلك لأن الموجود إما قديم وإما محدث ، أما القديم الذي هو الإلـه فهو واحد وأما ما سواه فمحدث ، وإنما حدث بتخليق ذلك القديم وإيجاده ، وإذا كان كذلك فلا رغبة إلا إليه ولا رهبة إلا منه ، فبفضله تندفع الحاجات وبتكوينه وبتخليقه تنقطع الضرورات »[1] .

أما قوله تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسطِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[2] .

فيستدل بها الإمام الرازي على التوحيد المؤكد بشهادة الله تعالى فيقول : «أنه لولا تلك الدلائل التي ذكرها الله تعالى وهدى إليها

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢٠ ، ص ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨ .

لعجزوا عن التوصل بها إلى معرفة التوحيد . وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد على الوحدانية ليس إلا الله الواحد سبحانه » [١] .

ويتابع الإمام الرازي استدلاله بالآيات القرآنية لإثبات التوحيد وبيان لوازمه فقول في تفسير قوله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَىٰ عَبدِهِ لِيَكُونَ لِلعَٰلَمِينَ نَذِيراً ۝ الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَلَم يَتَّخِذ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقدِيراً ﴾ [٢] .

يبين سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ لَم يَتَّخِذ وَلَداً ﴾

انه هو المعبود أبداً ولا يصح ان يكون غيره معبوداً ووارثاً للملك منه أما قوله تعالى :

﴿ وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ ﴾

المراد أنه هو المتفرد بالإلهية وإذا عرف العبد ذلك أنقطع خوفه ورجاؤه عن الكل ولا يبقى مشغول القلب إلا برحمته وإحسانه » [٣] .

كما جعل الإمام فخر الدين الرازي التوحيد أربع مراتب :

١- الإقرار باللسان .

٢- الاعتقاد بالقلب .

٣- تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجه .

---

(١) التفسير الكبير : ج ٧ ، ص ٢٠٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ١ ، ٢ .

(٣) التفسير الكبير : ج ٢٤ ، ص ٤٥ .

٤- ان يصير العبد مغموراً في بحر التوحيد بحيث لا يدور في خاطره شئ غير عرفان الأحد الصمد .

فالموصوف بالقدرة وبالعلم على الوجه الأكمل الذي ذكرته الآية الدالة على توحيده سبحانه وتعالى هو وحده الذي يستحق العباده دون غيره »[1] .

وجاء في قوله تعالى :

﴿طه ۞ مَاأنزَلنَا عَلَيكَ القُرءَانَ لِتَشقَى ۞ إلا تَذكِرَةً لِّمَن يَخشَى ۞ تَنزِيلاً مِّمَّن خَلَقَ الأرضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ العُلَي ۞ الرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الأرضِ وَمَابَينَهُمَا وَمَا تَحتَ الثَّرَى ۞ وَإِن تَجهَر بِالقَولِ فَإنَّهُ يَعلَمُ السِّرَّ وَأَخفَى ۞ اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأسمَاءُ الحُسنَى﴾[2]

فالله جل ثناؤه المختص بصفات العظمة والتمجيد عظم حال القرآن بأن نسبه إليه وهو خالق الأرض والسموات العالية . وقال ذلك لبيان عظمة الخالق بتعظيم خلقه . وإنما عظم القرآن ترغيباً في تدبره والتأمل في معانيه وحقائقه وأختتم الآيات الكريمة بتقرير التوحيد الكامل في الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات فقال :

﴿ اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأسمَاءُ الحُسنَى ﴾ .

---

(١) التفسير الكبير : ج ٢٢ ، ص ٩ .

(٢) سورة طه : آيه ١ - ٨ .

فنجد ان التوحيد عند ابن الخطيب بمراتبه الأربع يميل أحياناً إلى توحيد الفلاسفة والمتكلمين ، خاصة في بعض الصفات الالهية مثل الصفات السلبية والتى بالغ فيها بنفي الجهة والتحيز والجسمية والتركيب وما بُني على ذلك من القول بموجود لا داخل العالم ولا خارجه أو بصيغه أخرى لا مبايناً للعالم ولا محايثاً له ، فالمباينه تقتضي الجهه والحيز والمحايثه تقتضي التركيب والجسميه ، كما أدى به هذا القول إلى نفي الصفات الخبريه والفعليه الأختياريه كالاستواء والنزول والقرب والمجئ ... والذاتيه كالوجه واليد والعين والجنب والساق ...

وتأويل ظاهر نصوصها إلى معان مرجوحه بدون دليل يصرفها عن معناها الراجح ، إلا المبالغه في التنزيهات باستدلالات الفلاسفة واحياناً يتوقف في تأويل النصوص المثبته لهذه الصفات . وسيجئ تفصيل هذا لاحقاً هذا وقد ذكر ابن الخطيب سبب اختلاف الناس في إثبات الصفات ونفيها فذهب البعض إلى نفي الأسماء والصفات وذهب البعض الآخر إلى نفي البعض من الصفات وذهب الصفاتيه إلى إثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في الكتاب والسنه فيقول في ذلك : « واعلم ان سبب اضطراب العقلاء في إثبات الصفات ونفيها مقدمتان وقفتا في العقول على سبيل التعارض .

احداهما : أن الوحده كمال والكثره نقصان فصارت هذه المقدمة داعية إلى المبالغة في التوحيد حتى أنتهى الأمر إلى نفي الصفات .

والمقدمة الأخرى : ان الموجود الذي يكون قادراً على جميع المقدورات عاملاً بجميع المعلومات حيا حكيماً سميعاً بصيراً لا شك أنه

أكمل من الموجود الذي لا يكون قادراً ولا عالماً ولا حياً » [١] .

ولذلك حار العقلاء بين هذين المقدمتين حيث ان المقدمة الأولى تلزم إثبات الصفات والأخرى تلزم نفي الصفات وبين الأثبات والنفي اختلف الناس إلى مذاهب وفرق بين مقاصدها ابن الخطيب بقوله : « فالنفاه حاولوا إثبات الكمال والوحدانية ، والمثبتون حاولوا إثبات الكمال في الإلهيه ، والأذكياء من العقلاء احتالوا في وجه التوفيق بين المقدمتين » [٢] .

---

(١) لوامع البينات : ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق .

المبحث الثانى :

مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في اثبات وحدانية الله تعالى

المبحث الثاني

اثبات وحدانية الله تعالى عند شيخ الإسلام ابن تيمية

يرى الإمام تقي الدين أحمد ابن تيميه أنالله تعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابه إليه ومحبته والأخلاص له فبذكره تطمئن القلوب وبرؤيته في الآخرة تقر العيون ، فتوحيد الالـهية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأكدت عليه لأن الإيمان الكامل لا يكون إلا به ولا يثاب العبد برضوان الله وجنته إلا عليه . وهو متضمن لتوحيد المعرفة والإثبات الذي فطر الله الخلق عليه : « وقد جاء ذكر توحيد الله تعالى وإخلاص الدين له في العبادة والاستعانه في آيات القرآن العظيم . وهو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره »[١] قال تعالى :

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٢]

وقد ذكر الله عز وجل عن كلّ من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه :

﴿أَعۡبُدُو ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[٣] .

وقال ﷺ : « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله »[٤] وعن معاذ بن جبل قال : قال عليه

---

(١) الفتاوي : ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

(٣) الفتاوي : ج١ ، ص ١٥٤ .

(٤) حديث رواه البخاري في باب الإيمان : ج ١ ، ص ١١ ، ومسلم في باب الإيمان: ج ١ ،ص ٢٠٦.

الصلاة والسلام : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة »[١] . فتوحيد الآلوهية هو دين الإسلام الذي بعث الله به الرسل فالله سبحانه هو المستحق للعباده لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية . وهذا ما أكده الله تعالى في قوله :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢] .

إشارة بما تقتضيه إلهيته من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي وقوله :

﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

إشارة بما تقتضيه ربوبيته من التوكل والتفويض والتسليم لأن الرب سبحانه وتعالى هو المالك المدبر قال تعالى :

﴿ تَبَٰرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣].

لذلك يؤكد شيخ الإسلام « أن التوحيد المطلوب هو توحيد الرسل أي توحيد العبادة والألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية لأنه يجب الدعوة إلى الله تعالى الواحد الذي لا إله يستحق العبادة غيره فيكون الدين كله لله ولا يخاف إلا من الله ولا يدعى إلا الله ويكون الله أحب إلى العبد من كل شيئ فيحبون لله ويبغضون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه »[٤] .

---

(١) الحديث في سنن أبو داود « باب في التلقين » : ج ٨ ، ص ٣٨٥ .

(٢) سورة الفاتحة : آية ٤ .

(٣) سورة الملك : آية ١ .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية : ج ٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

هذا وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز التوحيد الخالص له جل جلاله في العبوديه وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد من غيره ولا يرجو سوى الله ولا يتوكل إلا عليه ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [١] .

وقال جل من قائل :

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٢] .

وقال تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ ﴾ [٣] .

كما حقق الرسول الآمين ﷺ توحيد العبادة ، وهذا ما تدل عليه شهادة الإيمان وأول أركان الدين وهي قول لا إلـه إلا الله فإنه الألـه هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم ، والإجلال والإكرام والرجاء والخوف »[٤] ، حتى قال لهم رسول الله ﷺ : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » [٥]. وقال له

---

(١) سورة المائدة : آية : ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٧٥ .

(٣) سورة التوبة : آية : ١٨ .

(٤) الفتاوي : ج١ ، ص ١٣٥ .

(٥) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بلفظ قال فيه عن حذيفة قال : « أتى رجل النبي ﷺ فقال إني رأيت في المنام أني لقيت أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فقال النبي ﷺ قد كنت أكرهها منكم فقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد »
مسند الإمام أحمد بن حنبل : ج ٥ ، ص ٣٩٣ .

رجل :« ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده »[١] .

والصحابة رضوان الله عليهم يعرفون ما يحب الله ورسوله ﷺ أن يعرف من التوحيد الذي هو أصل الدين وهو أول ما دعا الرسول ﷺ إليه الخلق وهو أول ما أمر رسله أن يأمروا الناس به وفي الصحيحين أنه لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ان لا إله إلا الله وأني رسول الله »[٢] .

وقال ﷺ لمعاذ : ليكن أول ما تدعوهم إليه التوحيد فهو أول الدين وأصله وهذا ما تحققه الشهادتان ، قول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . « فالشهادة الأولى : ان لا نعبد إلا إياه . والشهادة الثانية : أن محمداً رسوله المبلغ عنه . فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره »[٣] .

وتوحيد الله تعالى كما يراه شيخ الإسلام يتضمن نوعين متلازمين :

الأول : توحيد في العلم والقول .

والثاني : في الإراده والعمل .

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بلفظ قال فيه : عن ابن عباس أن رجل قال للنبي ﷺ : « ما شاء الله وشئت فقال له النبي ﷺ أجعلتني رالله عدلا بل ما شاء وحده »
مسند الإمام أحمد بن جنبل : ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٢) من حديث ابن عباس أخرجه البخاري في باب التوحيد (١٦٤/٨)، ومسلم في باب الأيمان (١ / ٥٠) والإمام أحمد (٢٣٣/١) وابو داود (٢٤٢/٢) وغيرهم .

(٣) العبودية : ص ٦٥ .

فالأول : كما في قوله تعالى :

﴿ قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَم يَلِدِ وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ .

ولهذا كانت السورة تعدل ثلث القرآن لأنها صفة الرحمـن [١] وتوحيده « فهي تجمع التنزيه الواجب لله تعالى بنوعية تنزيهه عن كل نقص وعيب وتنزيهه تعالى عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفات الكمال الثابته له سبحانه » [٢] .

وعلى هذا المعنى كان قوله ﷺ للناس : « احتشدوا حتى أقرأ عليكم ثلث القرآن ، فحشدوا حتى قرأ عليهم « قل هو الله ، الله الصمد . . » قال : والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن » [٣] .

« والقرآن ثلثه توحيد وثلثه قصص وثلثه أمر ونهي ، لأنه كلام الله والكلام : إما إنشاء وإما إخبار ، والإخبار : إما عن الخالق ، وإما عن المخلوق فصار ثلاثة أجزاء : جزء أمر ونهي وإباحة وهو الإنشاء وجزء إخبار عن المخلوقين وهو القصص ، وجزء إخبار الخالق وهو التوحيد فقل هو الله أحد صفة للرحمن » [٤] ، فقوله « أحد » مع قوله « لم يكن له كفواً أحد » ينفي المماثلة والمشاركة وقوله « الصمد » يتضمن جميع صفات الكمال ، فالنقائص جنسها منفي عن الله .

---

(١) منهاج السنة : ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

(٢) الفتاوي : ج ١٧ ، ص ٣٢٥ .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (١/٥٥٧) وأحمد (٢/٤٢٩) .

(٤) منهاج السنة : ج ٣ ، ص ٢٩١ .

والثاني : توحيد في الإرادة والعمل « العبادة » فكما في سورة :

﴿ قُل يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ، لَا أَعبُدُ مَا تَعبُدُون ، وَلَا أَنتُم عَابِدُونَ مَا أَعبُدُ وَلَا أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّم وَلَا أَنتُم عَابِدُونَ مَا أَعبُدُ لَكُم دِينُكُم وَلِي دِينِ ﴾ [1] .

وقد أشتملت هذه السورة على التوحيد العملي نصاً وهي دالة على العلمي لزوماً ، كماأشتملت سورة الأخلاص

﴿ قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾

على التوحيد العلمي القولي نصاً وهي دالة على العملي لزوماً » [2] .

فالتوحيد الكامل يشمل توحيد الربوبية ، ولازمه توحيد الألوهية أو يشمل توحيد الألوهية وما يتضمنه من الربوبية « فالإلـه الذي هو المراد لنفسه - إن لم يكن رباً - امتنع أن يكون معبوداً لنفسه ومن لا يكون رباً خالقاً لا يكون مدعوا مطلوباً منه ، مراداً لغيره فلأن لا يكون معبوداً مراداً لنفسه من باب أولى ، فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ، ونفي الربوبية يوجب نفي الإلهية إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعليه »[3].

ويرى شيخ الإسلام تقي الدين أن دلائل التوحيد بنوعيه فطرية ، وشرعية عقلية .

---

(١) سورة الكافرون : الآيات من ١ - ٦ .

(٢) الفتاوي : ج ١٧ ، ١٠٧ .

(٣) الفتاوي : ج ٢ ، ص ٣٧

فالقرآن الكريم والسنة الهادية مليئة بالنصوص الإلهية القرآنية والأحاديث الإلهية النبوية التى تثبت وحدانية الله تعالى في الربوبية والألوهية .

لذا يقول شيخ الإسلام بدليل التمانع ولكن كما قرره القرآن بإثبات توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية .

قال تعالى :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعضُهُم عَلَىٰ بَعضٍ سُبحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١] .

وفي الآية برهانين يقينيين على امتناع أن يكون مع الله إلـه آخر ، لأنه لم يذهب كل إلـه بما خلق ولا علا بعضهم على بعض وهذا اللازم منتف فانتفى الملزوم وهو ثبوت إلـه مع الله، ولبيان الملازمة في الآية يقول : أنه لو كان مع الله ألـهة أخرى لم يكن مستقلاً بخلق العالم والمشاهد أن المخلوقات جميعها تدل على أن خالقها واحد ومدبر أمرها واحد ، فثبت استقلال الله بخلق العالم ، إذن انتفى وجود ألـهة مع الله لاستقلاله وحده بالخلق .

« ويمتنع أيضاً أن يكون مشاركاً للآخر معاوناً له لأن ذلك يستلزم عجز كل منهما ، والعاجز لا يفعل شيئاً ، فلا يكون لا رباً ولا إلـهاً لأن أحدهما إذا لم يكن قادراً إلا بإعانة الآخر ، لزم عجزه حال الانفراد وامتنع ان يكون قادراً حال الاجتماع ، لأن ذلك دور قبلي فإن هذا لا

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

يكون قادراً حتى يجعله الآخر قادراً أو حتى يعينه الآخر ، وذاك لا يجعله قادراً ولا يعينه حتى يكون هو قادراً ، وهو لا يكون قادراً حتى يجعله ذاك أو يعينه فامتنع إذا كان كل منهما محتاجاً إلى إعانة الآخر في الفعل ، أن يكون أحدهما قادراً فامتنع ان يكون لكل واحد منهما فعل حال الإنفراد وحال الاجتماع ، فتعين ان يكون كل واحد منهما قادراً عند الإنفراد فلا بد إذا فرض معه إلـه ، أن يكون كل منهما قادراً عند الإنفراد . وإذا كان كذلك ففعل أحدهما إن كان مستلزماً لفعل الأخر بحيث لا يفعل شيئاً حتى يفعل الآخر فيه شيئاً لزم أن لا يكون أحدهما قادراً على الإنفراد وعاد احتياجهم في أصل الفعل إلى التعاون وذلك ممتنع بالضرورة »[1] .

ويستطرد شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان البرهان الأول من الآية « لذهب كل إلـه بما خلق » فيقول : أنه لا بد أن يكون كل واحد منهما له فعل خاص به لا يشاركه فيه الآخر وحينئذ يكون مفعول هذا متميزاً عن مفعول هذا ، ومفعول هذا متميزاً عن مفعول ذاك . فيذهب كل إلـه بمخلوقاته .

والوقع يشهد بخلاف ذلك فليس في العالم شيء إلا وهو مرتبط بغيره من أجزاء العالم : فلا يتصور إلـهان حتى يكون مفعول احدهمامتميز عن مفعول الآخر فيذهب كل إلـه بما خلق واللازم منتف فانتفى الملزوم[2] . أما البرهان الثاني وهو قوله تعالى :

﴿ ولَعَلاَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ ﴾ .

---

(١) منهاج السنة : ج ٣ ، ص ٣١٦ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

« فإنه يمتنع أن يكونا متساويين في القدرة ، لأنهما إذا كانا متساويين في القدرة كان مفعول كل منهما متميزاً عن مفعول الآخر وهو باطل كما تقدم ، ولأنهما إذا كانا متكافئين في القدرة لم يفعلها شيئاً لاحال الاتفاق ولاحال الاختلاف ، سواء كان الاتفاق لازماً لهما أو كان الاختلاف هو اللازم أو جاز الاتفاق وجاز الاختلاف » [١] .

ففي الحالتين عند تساوى القدرتين أو تكافئهما لن يكون هناك مفعولاً أصلاً .

لأنه إذا قدّر أن الاتفاق لازم لهما ، فلأن أحدهما لا يريد ولا يفعل حتى يريد الآخر ويفعل ، وليس تقدم أحدهما أولى من تقدم الآخر لتساويهما فيلزم ألا يفعل واحد منهما شيئاً ، إما إذا كانت إرادة هذا وفعله مقارناً لإرادة الآخر وفعله ، فالتقدير أنه لا يمكن أن يريد ويفعل إلا مع الآخر فيكون كل منهما عاجزاً حال الإنفراد ، ويمتنع مع ذلك ان يصيرا قادرين حال الاجتماع ، إما إن كان الاختلاف لازماً لهما فإن كانا متساويين في القدرة امتنع حصول الفعل منهما لأن هذا يمنع هذا ، وهذا يمنع هذا لتكافؤ القدرتين ، فلا يفعلان شيئاً « وأيضاً فإن امتناع احدهما مشروط بمنع الآخر فلا يكون هذا ممنوعاً حتى يمنعه ذاك ولايكون ذاك ممنوعاً حتى يمنعه هذا فيلزم ان يكون كل منهما مانعاً ممنوعاً وهذا ممتنع . ولأن زوال قدرة كل منهما حال التمانع إنما هي بقدرة الآخر ، فإذا كانت قدرة هذا لا تزول حتى تزيلها قدرة ذاك وقدرة ذاك لا تزول حتى تزيلها قدرة هذا ، فلا تزول واحده من القدرتين فيكونا

---

(١) منهاج السنة : ج ٣ ، ص ٣١٨ .

قادرين ، وكونهما قادرين على الفعل مطبقين في حال كون كل منهما ممنوعاً بالآخر عن الفعل عاجزاً عنه فمنع الآخر له محال لأنه جمع بين النقيضين »[١] .

إما إن قدّر جواز اتفاقهما أو جواز اختلافهما كان تخصيص الاتفاق دون الاختلاف أو تخصيص الاختلاف دون الاتفاق ترجيح بلا مرجح وهو محال ، وترجيح أحدهما مع الآخر هو اتفاق فيفتقر تخصيصه إلى مرجح آخر فيلزم التسلسل في العلل وهو محال »[٢] .

فلا يتصور في جميع المشاركات اتفاق إثنين إلا أن يكون أحدهما فوق الآخر أو أن يكون لهما ثالث فوقهما . ويؤكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – فيقول : « فالتمانع حاصل بين الأصليين المتكافئين سواء قدّر اتفاقهما أو اختلافهما . وان كان التمانع مع الاختلاف أظهر ، فهما يتمانعان مع الاتفاق فإن احدهما لا يمكنه ان يفعل حتى يفعل الآخر وذاك لا يمكنه حتى يفعل الآخر وليس لهما ثالث يحركهما إلى الفعل وليس تقدم أحدهما أولى من تقدم الآخر ، ووقوع الفعل منهما مع كون كل منهما لا بد له من قدرة عليه وهو لا يقدر إلا بالآخر محال . فإن هذا لا يقدر حتى يعينه الآخر وهذا لا يقدر حتى يعينه الآخر فتكون إعانة كل منهما سابقة مسبوقة وقدره كل منهما سابقة مسبوقة ، إذ كان لا إعانه لهذا إلا بقدرته ، ولا قدرة له إلا بإعانة ذاك ولا إعانة لذاك إلا بقدرته ، ولا قدرة له إلا بإعانة هذا

---

(١) منهاج السنة النبوية : ج ٣ ، ص ٣١٩ .

(٢) المرجع السابق .

فتكون إعانة هذا موقوفه على قدرته والموقوفه على إعانة ذاك ، والموقوفة على قدرة هذا فيكون الشيء قبل قبل قبل نفسه وعلة علة علة نفسه . فتبين امتناع اجتماع يبين متوافقين أو متخالفين . وأنه إذا فرض مع الله إلـه لزم ان يذهب كل إلـه بما خلق وأن يعلو بعضهم على بعض ، ومبرهنين في الآية كل واحد منهما مستقل عن الآخر ، وكل منهمالازم على تقدير إلـه آخر ، وأنتفى البرهان الأول فانتفى لازمه الثاني بالمشاهدة فانتفى لازمه وهو إلـه آخر .

أما قوله تعالى :

﴿ لَو كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

فقد بين شيخ الإسلام ابن تيميه المراد منها فقال : « والواجب إثبات أمرين : أنه سبحانه رب كل شيء ، وإلـه كل شيء ، فاذا كانت الحركات الارادية لا تقوم إلا بمراد لذاته وبدون ذلك يفسد ، ولا يجوز أن يكون مراداً لذاتــه إلا الله ، كما لا يكون موجوداً بذاته إلا الله ، علم أنه « لوكان فيهما آلـهه إلا الله لفسدتا » وبيان لزوم الفساد في الآية أنه إذا قدّر مدبران متكافئتان امتنع التدبير منهما لا على سبيل الاختلاف ، ولا على سبيل الاتفاق ، فيفسد العالم بعدم التدبير لا على سبيل الاستقلال ولا على سبيل الاشتراك كما تقدم ، وهذا من جهة امتناع الربوبية لاثنين و يلزم من امتناعهما امتناع الإلهية فإن من لا يفعل شيئاً لا يصلح ان يكون رباً يعبد ، ولم يأمر الله أن يعبد ، ولهذا بين الله تعالى امتناع الالهية لغيره : تارة ببيان أنه ليس بخالق وتارة أنه لم يأمر بذلك كقوله تعالى :

﴿ قُل أَرَءَيتُم مَّا تَدعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرضِ أَم لَهُم شِركٌ فِي السَّمَـٰوَٰتِ ائتُونِي بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبلِ هَـٰذَآ أَو أَثَـٰرَةٍ مِّن عِلمٍ إِن كُنتُم صَـٰدِقِينَ ﴾ [١] .

وقوله تعالى :

﴿ وَ سـَٔل مَن أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلنَا مِن دُونِ الرَّحمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعبَدُونَ ﴾ [٢] .

والمقصود أن الآية تدل على بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشيء عن عبادة ما سوي الله تعالى لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله لا يصلح فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته ، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته » [٣] .

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٤ .

(٢) سورة الزخرف : آية ٤٥ .

(٣) منهاج السنة : ج ٣ ، ص ٣٣٥ .

المبحث الثالث :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإمام فخر الدين الرازى في اثبات وحدانية الله تعالى

المبحث الثالث

موقف شيخ الإسلام من الرازى في التوحيد

لقد قسم شيخ الإسلام توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله إلى أقسام وبين مفهوم كل قسم واهميته ، والتقسيم هو : توحيد الربوبية وتوحيد الآلهية وتوحيد الاسماء والصفات وجمع بينهم بعلاقات مرتبطة بعضها ببعض فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات شامل لهما .

فعلى هذا التقسيم يرى شيخ الإسلام أن المتكلمين عموماً بالغو في إثبات توحيد الربوبية وقصروا في إثبات توحيد الالوهية وأنحرفوا كثيراً في توحيد الاسماء والصفات وفي ذلك يقول شيخ الإسلام : « ومن المعلوم أن التوحيد الذى بعث الله به رسوله وانزل به كتابه هو مادل عليه الكتاب والسنة والاجماع مثل عبادة الله وحده لاشريك له ، فمن عبد غيره كان مشركا ولم يكن موحداً ... » [1] .

أما من قال : أن توحيد الله تعالى هو نفس الصفات التى يعتقدون فيها التسبيه أو التركيب فقد جعلوا للوحدانية معانى لا تكون إلا في الذهن ويمتنع حصولها في الواقع الخارجى ، وذلك بقولهم أن الواحد هو الذى لا يتميز منه شيء عن شئ أصلاً . فبهذا المعنى يكون الموصوف بالواحد أو الأحدية ممتنع معدوماً .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية : ج ٢ ص ١٣٣ .

وقد مال الإمام الرازى إلى هذا القول حيث ذهب إلى أن توحيد الله تعالى يستلزم نفى بعض الصفات كالعلو والجهة والنزول والوجه والعين ... الخ .

ويبين شيخ الإسلام بطلان هذا المعنى لتوحيد الله فيقول : « وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفى الصفات أو نفى علوه على عرشه بل بما يستلزم نفى ماهو أعم من ذلك فهو شئ ابتدعته الجهمية ولم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد ، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات هو أيضا باطل .

فإن التوحيد نقيضه الاشراك بالله تعالى والتمثيل له بخلقه وان كان ينافى التوحيد فليس المراد بذلك مايسمونه هم تشبيها ، فإنهم يسمون المعانى باسماء سموها هم وأباؤهم ماأنزل الله بها من سلطان[1] فالحق ماذهب إليه أهل الإثبات الموحدين الذين آمنو بالتوحيد والتنزيه الذي جاءت به الرسول صلوات الله وسلامه عليهم ، وهو مابينته سورتى الاخلاص في القرآن الكريم .

فالتوحيد العلمى القولي : وهو الذي جاءت به سورة الاخلاص والتى تعدل ثلث القرآن . قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[2]

والتوحيد العملى الارادى : وهو الذى جاءت به سورة الاخلاص الثانية وهى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا الْكَـٰفِرُونَ لاأَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ وَلاأَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَاأَعْبُدُ وَلاأَنَاْ عَابِدٌ مَّاعَبَدتُّمْ وَلاأَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَاأَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [3]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية : ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) سورة الاخلاص : آية ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) سورة الكافرون : الآيات من ١ – ٦ .